الكاتب

للثقافة الانسانية والتقدم

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS
١٣٨
١٤٢٥ ١٩٩١
- السنة الثانية عشرة -
No. (138)
November,December 1991
الثمن : شيكل

مؤتمر مدريد بين التمنيات والواقع . بعيداً عن السياسة: الطائفية جنيف ومؤتمر مدريد . الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقلال في حرب الخليج . وبيئي المنهج الجدلي هو الأصح . أزمة الفكر بين التقليد والتجديد . صانعو الذرة . الفنانون الفلسطينيون والتكاثر الانتظاري

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الانسانية والتقدم

العدد (١٣٨) ت٢ك١ ١٩٩١ - السنة الثانية عشرة ١٩٩١ - No (138) November,December 1991

AL KATEB
FOR HUMAN CULTURE
AND PROGRESS

Editor
As'ad Al - As'ad
P.O.BOX 20489 Jerusalem
TEL: (02) 959061

رئيس التحرير المسؤول
اسعد الاسعد

هذا العدد

صدر العدد الاول في تشرين الثاني ١٩٧٩

- مؤتمر مدريد بين التمنيات والواقع · اسعد الأسعد ٢
- بعيدا عن السياسة : اتفاقية جنيف ومؤتمر مدريد · خالد البطراوي ٥
- (الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستغلال في حرب الخليج) · عصام يونس ٧
- ويبقى المنهج الجدلي هو الأصح · محسن ابو رمضان ١١
- ازمة الفكر بين التقليد والتجديد ·د· يسري السيفي ١٦
- صانعو الفزع · هاينز هالم (ترجمة) · ابراهيم ابو هشهش ١٩
- قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والاربعين للانتفاضة · الكاتب ٢٥
- الفنانون الفلسطينيون والتكاثر الانشطاري · قاسم منصور ٢٦
- الحضارات الفنية عبر العصور (٥) فن التصوير ومذاهبه · فاطمة المحب ٢٩
- وهم الديمقراطي في اخراج مسرحية " قضية المدعو س " ·د· الهام ابو غزالة ٣٥
- السينما الفلسطينية (٢) · عدنان مدانات ٣٨
- قصة قصيرة · الثمن · حليمة جوهر ·الروح والقنينة · جمال القواسمي ٤٥
- شعر · مرثية حب لأم آدم · عبد القادر العزة ٥٠
- الاختلاف في صيغته الانسانية · وسيم الكردي ٥٧
- الفهرس السنوي لمجلة الكاتب لسنة ١٩٩١ ..... ٥٨

لوحة الغلاف للفنان الفلسطيني جمال الافغاني

الاشتراك السنوي بالدولار

	محليا	اوروبا	بلدان اخرى
للافراد	٣٠	٧٥	١٠٠
للمؤسسات	٥٠	١٥٠	٢٠٠

القدس - هاتف: ٠٢/٩٩٩٣٢١ - ص.ب: ٢٠٤٨٩

أول الكلام

سعر زيت الزيتون البلدي ، ارتفع الى ستين دينارا للصفيحة الواحدة ، وربما اكثر ، والصبب ، سوء الموسم ، ويقول الفلاحون في بلادنا ، ان الموسم هذاالعام " شلتوني " ، ويأملون في ان تكون السنة القادمة " ماسية ".

غير ان الفلاحين ما لبثوا ان تراجعوا عن تفاؤلهم هذا ، بعد ان شاهدوا ما حل بأشجار الزيتون على مدار الأيام القليلة الماضية ، سمعت أحدهم يقول مولولا: " يا حسرتي ، قطّعوا تالي الزيتونات " .

كلنا - دون استثناء - راغب في السلام ، ويحلم به ليل نهار ، الم يكن بالامكان التعبير عن رغبتنا وتعلقنا بالسلام ، بوسائل وطرق اخرى ؟! ، أليس ما قمنا به سابقا لأوانه ؟!.

رفقا بما تبقى لنا من شجر الزيتون ، عبّروا عن فرحتكم كما شئتم ، واتركوا لنا زيتوننا يضرب في قيعان ارضنا ، فهو هويتنا الباقية ، وعنوان انغراسنا في هذه الأرض الى أبد الآبدين .

Digitized by Birzeit University Library

مؤتمر مدريد
بين التمنيات والواقع !

يبدو حتى الآن ، ان الرئيس الامريكي جورج بوش ، نجح في مسعاه لتحقيق الشق الثاني من مطامحه ، فبعد النجاح الذي حققه في حربه ضد العراق ، ها هو ينجح في جمع اطراف النزاع في الشرق الاوسط ، حول طاولة واحدة ، وبالشروط التي وضعها لهم - ويبدو ايضا ، ان مسعى الرئيس الامريكي الى الفوز بلقب بطل السلام ، كما كان فاز بلقب بطل الحرب ، يبدو ممكنا ، بعدما هيأ الارضية لفرض الامر الواقع ، لعملية التسوية في الشرق الاوسط ، فالنتائج التي تحققت في الخليج ، سواء تلك المتعلقة باخراج العراق من الكويت ، وتدمير البنية العسكرية والاقتصادية للعراق ، او تلك المتعلقة بهيمنة الولايات المتحدة على دول المنطقة ، والتفرد بتقرير ورسم مصيرها ، بعد ضمان انهيار الاتحاد السوفييتي والمعسكر الشيوعي برمته - وما ترتب على هذه الحقائق الجديدة ، من تغيير للواقع العربي ، والفلسطيني ، ادى الى تراجع في كثير من المفاهيم التي طغت على نمط السلوك العربي والفلسطيني ، في العقود الاخيرة -

فقد أدت حرب الخليج، وما آلت اليه، الى الاطاحة بمفهوم التضامن العربي، الوحدة العربية ..الخ ، بالشكل والمضمون الذي ظل سائدا حتى الان ، كما ان انهيار العالم الشيوعي وتراجع الاتحاد السوفييتي عن دوره بعد ان غرق في مصائبه ، ادى الى انهيار التوازن الدولي ، لصالح الولايات المتحدة ، وحلفائها في اوروبا وفي العالم العربي ، مما خلف حالة لم يسبق لها مثيل، في تاريخ العالم ، حيث خرجت الولايات المتحدة كقوة وحيدة في العالم ، ومع ان هذا الخلل في التوازن امر مرحلي ، الا ان

Digitized by Birzeit University Library

تغيير هذا الواقع ، سوف يتطلب حقبة من الزمن ، ليست قصيرة ، اذ ان اعادة بناء تحالفات جديدة ، امام الولايات المتحدة ، يتطلب قدرا من الشجاعة ، وادراك المصالح المشتركة للمتحالفين ،وفق المعادلات الجديدة ٠

ولا شك في ان الشعب الفلسطيني ، وقيادته السياسية منظمة التحرير الفلسطينية ، هم أكثر الخاسرين من الوقائع الجديدة ، والمتغيرات المستجدة ٠ ولعل ذلك كان واحدا من أهم الاسباب التي حدت بالقيادة الفلسطينية ، الى اتخاذ قرارها بالمشاركة في مؤتمر مدريد ، ورغم ان القرارات الصادرة عن اللجنة التنفيذية ، وكذلك المجلس الوطني ، والمجلس المركزي ، ربطت مشاركتها بالتمسك بالثوابت التي اعلن عنها في المجلس الوطني التاسع عشر والعشرين ، الا ان القيادة الفلسطينية ،تدرك جيدا ، انها تنازلت عن بعض ثوابتها ، وهي ماضية نحو التنازل عن غيرها ، وهي تدرك ايضا ، انها ذاهبة الى المؤتمر ، بغير ما اتفق عليه في الجزائر ، احساسا منها بأن عدم المشاركة ، لن يكون في صالحها ٠ استنادا الى صورة ومعطيات الظروف المحيطة كلها ، بمعنى آخر ، لم يكن امام القيادة الفلسطينية - خيار آخر ٠

غير ان الاستمرار في طرح الشعارات القديمة ، وبنفس الطرق والاساليب ، سوف يضر كثيرا ، وسوف يكون له انعكاس سلبي ، على الشارع الفلسطيني ، فالقيادة الفلسطينية ، تعلم تماما ، انها ذاهبة الى مؤتمر مدريد ، وفق سقف اعلى ٠ لا يتعدى في أحسن الاحوال الحكم الذاتي ، للضفة الغربية وقطاع غزة ، وفق التصور الاسرائيلي لهذا الحكم ، اي ادارة ذاتية للسكان ، دون مساس في الأرض ، وبالطبع ليس للقدس مكان في هذه الخريطة ، وقد قبلت القيادة الفلسطينية بذلك ، وشاركت في المؤتمر على أمل ان يصار الى البحث في مصير الضفة والقطاع ، بعد عام من تطبيق الحكم الذاتي ، وبالطبع ايضا ، دون ان يكون هناك اشارة واحدة الى الاستيطان ، والاسرائيليون من جانبهم يؤكدون هذه المقولات يوميا ، ومع ذلك ، فبعض التصريحات الفلسطينية ، لا تزال تتحدث عن الدولة الفلسطينية المستقلة ، الى حد دفع باعداد ليست قليلة ، الى الخروج باغصان الزيتون ، طيلة ايام المؤتمر ، وقبل ان يتبين الخيط الاسود من الأبيض ، وهي خطوة تحمل في طياتها الكثير من المخاطر ٠ أهمها ايهام الشارع الفلسطيني ، بان الفرج قريب ، وان الدولة على الأبواب ، او " قاب جلستين او أدنى " ، ويمكن ان نتخيل حالة الناس ، فيما لو فشل المؤتمر ، او وضحت صورة ما سيتمخض عنه ٠

ولعل الخوض في تفاصيل ما جرى ، من شأنه ان يدخلنا في متاهات نحن في غنى عنها ، في هذا الوقت ، غير ان ما اود الاشارة اليه ، الآلية التي تم تطبيقها لاختيار الوفد فقد تغلب المفهوم السائد في اختيار المشاركين ٠ حيث تم التعامل مع هذه القضية ، بنفس ما جرت العادة ، لاختيار مندوبين بجمعية او ناد او مؤسسة ما في الأرض المحتلة ، اي حسب " الكوتة " ، وبالتالي خرج الوفد بشكل غير معقول ابدا ، فان كنا سنذهب الى مؤتمر نبحث فيه قضية الشعب الفلسطيني ٠ فحري بنا ان نترفع عن حزبيتنا الضيقة ، وعشائريتنا التي يجب ان تكون مغيبة في مثل هذا المؤتمر ، والقصص التي رافقت اختيار الوفد ، تقشعر لها الأبدان ، ولعل هذا الموضوع ، هو احد المواضيع المهمة ، التي يتناقلها الناس منذ ان سافر وفدنا الى مدريد ، فلو كان التسابق من اجل وفد يناقش قضايا الانتماءات الحزبية والتنظيمية ، فذلك امر يمكن فهمه ، غير ان الوفد مسافر لمناقشة وطرح قضية اكبر بكثير من التنظيمات والاحزاب ، فعلام التسابق اذن ؟!

ولعلي اتساءل مع المتسائلين ، الم يكن بالامكان ، ارسال وفد اكثر كفاءة من الوفد الذي كان ؟! وحتى لا ابالغ ٠ اقول بان عددا من اعضاء الوفود - الاساسيين والمستشارين والصحفيين - لا غبار عليهم ، ولكني اتساءل مع المتسائلين الصامتين ايضا ، هل نحن بحاجة الى شعراء واختصاصيين في الفيزياء والكيمياء والمسالك البولية والبورصة ٠٠٠الخ ، ام نحن بحاجة الى خبراء في الجغرافيا والتاريخ والسياسة ، والقانون الدولي ؟!

تلك بعض ما يدور اليوم في الشارع الفلسطيني ، وان لم تكن اصوات المتسائلين عالية ، فلأسباب كثيرة ومختلفة ، فمن خائف ان يفسر كلامه بغير ما يريد ، الى حريص على بقية من امل في المشاركة ، الى قائل بأن الوقت لم يحن بعد ، وهذا ما يدفعني الى القول ٠ بأن طابع " الجاهة " ، او كما نسميها " الفاردة " الذاهبة الى العرس ، غلب على تركيبة الوفود المشاركة ، " سياسية ، او استشارية او صحفية " ، مع تأكيدي على وطنية واخلاص كل المشاركين في وفدنا ٠وحسن أدائهم في الايام الثلاثة بشكل يبعث على التقدير والاعجاب ٠

من ناحية اخرى ، تحدثت المصادر الصحفية ، ووسائل الاعلام ، عن تشكيل لجان سياسية وادارية فلسطينية مختلفة ، في خطوة اخرى ، سابقة لاوانها ، تمهيدا لاستلام السلطة من الادارة المدنية الاسرائيلية ، كما يقال ، وبرأيي ، ان تشكيل مثل هذه اللجان سابق لاوانه ، ويحمل في طياته مخاطر يجب التنبه لها ، فهي اولا ، ربما تحمل معنى استبعاد التنظيمات القائمة ، واستبدالها بلجان محلية ، ثانيا ، ليس هناك من مؤشر على نية

Digitized by Birzeit University Library

السلطات الاسرائيلية ، نقل السلطة الى الفلسطينيين ، وان كانت هناك نية ، فان على الهيئات الدولية - واولها مجلس الامن - التدخل لتنفيذ هذا الامر ، ورعايته ، فلماذا استباق الاحداث ، ولماذا تتخذ خطوات نحن لا نملك اقل اشارة لتحقيقها ؟! وان كانت هناك خطوات كهذه ، فلماذا الاستمرار في تنفيذها بنفس النهج العشائري والقبلي المعهود ؟!

فبعد ان اعلن في القدس يوم العاشر من تشرين الثاني ، عن اعضاء اللجان السياسية ، اعتبر كثير من المراقبين ، ان تلك خطوة ، على طريق تأسيس قيادة وطنية محلية ، خضعت لنفس الاعتبارات التي تشكلت على أساسها الوفود ، بحيث تم ارضاء من لم يرضوا من قبل ، وهذا من شأنه ان يضعنا - ان اجلا او عاجلا - في مواجهة قضية بالغة الاهمية ، يفرضها اسلوب التعاطي مع هذه القضية المصيرية، بالغة الدقة والتعقيد .

لقد تم التعاطي مع هذه القضية الوطنية المركزية ، من خلال منظور ضيق جدا ، يقوم اساسا على المراضاة ، ونفي الاعتبارات الاخرى ، وتم التغاضي عن حاجتنا الماسة لرص الصفوف ،واحترام الرأي والرأي الاخر ، وتعامل البعض مع الموضوع، من منطلق نظام الحزب الحاكم،ومومميين انفسهم وجماهيرهم - بأن الامور تسير باتجاه نقل السلطة ، في وقت نحن في امس الحاجة الى الوحدة الوطنية ، "مشاركين ومعارضين" .

ان ما يجب ادراكه، وتكريسه في ذهن الشارع الفلسطيني ، ان الطريق الى السلام - حتى الى الحكم الذاتي - لا يزال طويلا ، واحتمالات الفشل اكثر بكثير من احتمالات النجاح ، وبرأيي اننا قد نخسر كل شيء ، الا امرا واحدا يجب ان لا نخسره مطلقا،الا وهو وحدتنا الوطنية ، وجماهيرنا التي يجب ان نصدق القول معها ، والا نخدعها ، فهي ذخرنا الباقي الى الأبد ، وخسارتنا لجماهيرنا ، لا يعوضه اي مكسب .

اعود الى التأكيد على اهمية الانطلاق من الواقع الموضوعي ، وتحديد تعاملنا معه ، على أسس بعيدة عن العشائرية ، القبلية ، وبعيدا عن الاجواء الاحتفالية ، والتي لا يزال الوقت مبكرا للقيام بها، فالوفد الفلسطيني ، وبدون ادنى شك ،نجح في الامتحان الاول ، غير ان هذا الامتحان هو الأسهل من بين الامتحانات العسيرة القادمة ، ومن هنا يجب ان ننطلق في التعاطي مع المسألة ، وهذا يتطلب مواجهة الحقائق الموضوعية ، وعلى رأسها ، اننا ذاهبون وفق التصورين الامريكي والاسرائيلي للتسوية ، رغم الاختلاف في التفاصيل الاجرائية بين التصورين وما تعرضه التسوية المقترحة ، لا يتعدى الحكم الاداري الذاتي ، لمليون ونصف من الفلسطينيين ، سكان الضفة والقطاع - بدون القدس - وبدون الشتات ، وهذا يعني البدء من سقف اقل بكثير من ثلث الفلسطينيين ، وعلى ارضية ربما اقل من كامب ديفيد ، ومن تتبع خطاب رئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق شامير ، يدرك ذلك ، اذ انه لم يتطرق للشرعية الدولية ، او لقراري مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، وهناك اتفاق او تعهد امريكي لاسرائيل ، بعدم طرح القضية على مجلس الامن ، اذا ما فشل مؤتمر مدريد، في تحقيق التسوية ، والمؤتمر ، ليس ما سمعناه ، او ما ورد على لسان الخطباء في الجلسة الافتتاحية ، اذ ان الأهم من ذلك ، ما سوف يدور بعيدا عن الصحفيين ووسائل الاعلام ، ولعل في تصريح رئيس الوفد الاسرائيلي - الياكيم روبنشتاين - ما يدلل على الموقف الاسرائيلي ، حيث دعى الفلسطينيين وبكل صراحة ، الى التوقف عن الحلم ، ويعني ، الحلم بحق تقرير المصير ، او باقامة دولة فلسطينية وهذا ما يجب ان نواجه به انفسنا ، وكذلك جماهيرنا .

ان اكثر داعم للموقف الفلسطيني المفاوض ، هو المعارضة اذ ان هذه المعارضة هي الكابح الوطني ، لاي ابتعاد عن قرارت المجلس الوطني ، والثوابت التي يجب عدم التفريط بها ، في أية مفاوضات قادمة ، من هنا يجب التعامل مع المعارضة ، وهكذا يجب النظر اليها ، دون مس بحقوق اي طرف ، ودون استفزاز طرف لآخر ،على حساب المصلحة الوطنية العليا ، والتي يجب ان تظل الفيصل في اي خلاف ، ان ما قاله رئيس الوفد الفلسطيني ، الدكتور حيدر عبد الشافي ، وما اكدت عليه الناطقة باسم الوفد الدكتورة حنان عشراوي يدفعنا الى التأمل مليا ، حيث دعيا الى عدم الافراط في التفاؤل ، اذ ليس هناك ما يدفعنا الى ذلك حتى الان ، فان كان مركز حزب العمل ، وفي اوج التحرك نحو تحقيق السلام ، يرفض الاقرار بحق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره ، فكيف نتفاءل في ان يقر الليكود بذلك ؟! .

لقد آن الاوان ، ان نفصل بين تمنياتنا ، والواقع ، وحتى نتحقق امنياتنا ، علينا ان نتحلى بالصبر والحكمة ، وعدم المغالاة ، خوف " ان نطفو على شبر ماء " ، وعلى المتعاطين مع المؤتمر ادراك هذه الحقائق ، فالطريق لا يزال طويلا وشاقا ، واحتمالات الفشل ، اكثر من احتمالات النجاح ، مهما صور هذا النجاح كبيرا .

Digitized by Birzeit University Library

بعيدا عن السياسة

اتفاقية جنيف ومؤتمر مدريد

خالد البطراوي

في الثلاثين من تشرين الاول لعام ١٩٩١ ، ابتدأت محادثات مدريد ، تحت رعاية الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي ، حيث تقوم وفود تمثل سوريا ، لبنان ، الاردن وفلسطين ، اسرائيل بالتباحث ازاء الامور التي تخص المنطقة برمتها .

وبعيدا عن السياسة ، حيث تضاربت الاراء ما بين معارض ، مؤيد ، وملتزم للصمت ، ارغب في تسليط الاضواء على جانب اخر ، يتعلق بشكل خاص باتفاقية جنيف الرابعة لحماية الاشخاص المدنيين وقت الحرب (لاحقا اتفاقية جنيف) .

من الضروري الاشارة ، بادىء ذي بدء ، ان الاطار العام الذي يفترض في اي طرف مفاوض الحفاظ عليه ، هو القانون الدولي ، بالاضافة الى قرارات الشرعية الدولية وتحديدا مجلس الامن والجمعية العمومية .

وكما هو معلوم ، فان اسرائيل تمعن في رفض مسألة الانطباق القانوني لاتفاقية جنيف الرابعة على الاراضي المحتلة . لقد اعترفت اسرائيل في بداية احتلالها للضفة الغربية والقطاع ، بانطباق الاتفاقية . ففي السابع من حزيران عام ١٩٦٧ صدر البلاغ الثالث ، ونصت مادته الخامسة والثلاثين على انه ينبغي " تطبيق احكام معاهدة جنيف المؤرخة في ١٢آب (اغسطس) لعام ١٩٤٩ بخصوص حماية المدنيين اثناء ايام الحرب بصدد كل ما يتعلق بالاجراءات القضائية ، واذ وجد تناقض بين هذا الأمر وبين المعاهدة المذكورة ، فتكون الافضلية لاحكام المعاهدة " (انظر- قانون المحتل -اسرائيل والضفة الغربية /رجا شحادة / مؤسسة الدراسات الفلسطينية وجامعة الكويت / الطبعة الاولى / بيروت ١٩٩١ / صفحة ٥) . لقد عادت اسرائيل بعد أربعة اشهر، اي في تشرين الاول ١٩٦٧ ، وحذفت المادة ٣٥ من البلاغ الثالث بموجب الامر العسكري رقم ١٤٤ ، ثم جاء الامر العسكري رقم ٣٧٨ عام ١٩٧٠ ، ليحل محل البلاغ الثالث دون وجود اشارة الى اتفاقية جنيف .

ولكن ، هل ثمة قيود تفرضها الاتفاقية وتقيد بها الاطراف المتواجدة في مدريد ؟

بالطبع فان الاجابة هي نعم ، والا ، فلم يكن هنالك داعي لان اقوم بالكتابة .

وان الاطراف المتواجدة في مدريد ، هي اطراف ثلاثة . اسرائيل بوصفها قوة احتلالية ، اطراف راعية ومراقبة بوصفها اطراف ثالثة ، الاردن وفلسطين ، سوريا لبنان بوصفهم اطراف جرى احتلال اجزاء عن اراضيهم ، اي ان المفاوضين عن هذه الدول ، هم اشخاص يقومون بالتفاوض نيابة عن اخرين تحميهم اتفاقية جنيف الرابعة .

اولا : قيود تفرضها الاتفاقية جنيف على اسرائيل

تتضمن الاتفاقية مجموعة من البنود ، يحظر على اسرائيل بوصفها قوة احتلالية انتهاكها . لعله من الضروري التذكير بابرز هذه المواد :-

المادة ٤٩ :- " يحظر النقل الجبري الجماعي او الفردي للاشخاص المحميين او نفيهم من الاراضي المحتلة ....ايا كانت دواعية ".

وعليه فان عمليات نفي الفلسطينيين (الابعاد) هي عمليات محظورة بموجب الاتفاقية ، تتطلب من ممثلي الاشخاص المحميين ، العمل وعدم التنازل عن " حق اعادة المبعدين " . ثم تتابع المادة القول " ... لا يجوز لدولة الاحتلال ان تُرحل او تنقل جزءاً من سكانها المدنيين الى الاراضي التي تحتلها ".

اذا ، فان وقف الاستيطان والمطالبة باخلاء المستوطنات هي مسألة لها اساس قانوني قوي ، ينبغي عدم التنازل عنها .

المادة ٥٠ :- تنص على " تكفل دولة الاحتلال ، بالاستعانة بالسلطات الوطنية والمحلية ، من تشغيل المنشآت المخصصة لرعاية الاطفال وتعليمهم ...." وفي هذا اشارة واضحة لمسألة التعليم .

المادة ٥٢ :- " ... تحظر جميع التدابير

Digitized by Birzeit University Library

التي · شأنها ان تؤدي الى بطالة العاملين في البلد المحتل او تقييد امكانيات عملهم ···· وفي ذلك اشارة واضحة لظروف العمل والعمال والتشغيل ·

المادة ٥٣ : تنص على:- " يحظر على دولة الاحتلال ان تدمر اية ممتلكات خاصة ثابتة او منقولة تتعلق بافراد او جماعات ····

وعليه ، ينبغي المطالبة بوقف عمليات هدم واغلاق المنازل ، وتعويض اصحاب المنازل التي جرى هدمها ·

المادة ٥٩ : تنص على: " تلتزم اطراف النزاع التي تعتقل اشخاصا محميين باعمالهم مجانا ، وكذلك بتوفير الرعاية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية ، وعلى الدولة الحاجزة ان تعول الاشخاص الذين يعولهم المعتقلون اذا لم تكن لديهم وسائل معيشة كافية او كانوا غير قادرين على التكسب "·

وفي ذلك مدخل لمناقشة اوضاع المعتقلين وعائلاتهم ·

المادة ٨٣ : تنص على :- " لا يجوز للدولة الحاجزة ان تقيم المعتقلات في مناطق معرضة بشكل خاص لاخطار الحرب ··· وفي ذلك اشارة واضحة الى معتقل كتسيعوت (انصار -٣) الواقع في منطقة عسكرية مغلقة ·

المادة ١١٦: تنص على :- " يسمح لكل شخص معتقل باستقبال زائريه ، وعلى الاخص اقاربه ، على فترات منتظمة ····· ويسمح للمعتقلين بزيارة عائلاتهم في الحالات العاجلة ، بقدر الاستطاعة ، وبخاصة في حالة وفاة أحد الاقارب او مرضه بمرض خطير "·

وغيرها وغيرها من المواد ·

وان احد أهم اجراءات بناء الثقة ، تتجسد في اعلان اسرائيل عن التزامها وتقيدها والاعتراف بانطباق اتفاقية جنيف على الاراضي التي تحتلها ·

ثانيا :- قيود تفرضها اتفاقية جنيف على المفاوضين نيابة عن الاشخاص المحميين :

تحظر الاتفاقية بصورة مطلقة ، على اي مفاوض كان ، ان يبرم اية اتفاقيات جانبية او يوافق على تجريد الاشخاص المحميين من الحماية التي يتمتعون بها بموجب الاتفاقية ·

تنص المادة ٤٧ من الاتفاقية على :

" لا يحرم الاشخاص المحميون الذين يوجدون في اي اقليم محتل باي حال ولا باية كيفية من الانتفاع بهذه الاتفاقية ، سواء بس اي تغيير يطرأ نتيجة لاحتلال الاراضي على مؤسسات الاقليم المذكور او حكومته ، او بسبب اي اتفاق يعقد بين سلطات الاقليم المحتل ودولة الاحتلال ، او كذلك بسبب قيام هذه الدولة بضم كل او جزء من الاراضي المحتلة " ·

وعليه ، فمن الضروري ان ينطلق اي مفاوض من فحوى هذه المادة ، وبوعي تام من جانبه بضرورة عدم الحياد عن نص المادة ، ومن الضرورة الاشارة الى ان اي اتفاق جانبي يبرم ، لا يجرد الاشخاص المحميين مما هو ممنوح لهم من حمايات وفق الاتفاقية ·

لذلك تنبع أهمية مطالبة دولة الاحتلال بالتقيد باتفاقية جنيف الرابعة ، وبأثر رجعي منذ بدء الاحتلال ، ويشمل ذلك اعادة المنفيين ، وقف عمليات ضم الاراضي ، وتدمير الممتلكات والتعويض عن التهمير الذي كان قد حصل ، ايقاف نقل سكان دولة الاحتلال الى الاراضي المحتلة ، واجلاء اولئك الذين تم نقلهم وغيرها من الاجراءات

ثالثا :- قيود تفرضها الاتفاقية على الاطراف الراعية والمراقبة

والمقصود هنا ، في محادثات مدريد ، الدول الراعية وهي الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، الدول المراقبة كمصر ودول المجموعة الاوروبية ·

ان التأكد من تطبيق سلطة الاحتلال لاتفاقية جنيف الرابعة ، هو واجب قانوني على كافة الاطراف الموقعة على اتفاقية جنيف الرابعة ، وهي التي تسمى ب " الاطراف السامية المتعاقدة "·

تنص المادة الاولى ، وهي مادة مشتركة لاتفاقات جنيف الاربع على

" تتعهد الاطراف السامية المتعاقدة بان تحترم الاتفاقية وتكفل احترامها في جميع الاحوال "·

وعليه ، فان هذا الواجب القانوني ، يلزم الدول الراعية والمراقبة بالوقوف في وجه اية اتفاقية تعقد في مدريد تنتقص من الحقوق الممنوحة للاشخاص المحميين بموجب اتفاقية جنيف الرابعة ·

لقد جرى التأكيد على هذه المسألة عبر قرار مجلس الامن رقم ٦٨١ وكذلك عبر اعلانات مجلس وزراء المجموعة الاوروبية ، بالاضافة الى المساعي الدبلوماسية التي تمت في الاونة الأخيرة ·

وبعد ،

ان مراجعة متأنية تقوم بها كافة الاطراف المتواجدة في مدريد يؤهلها المضي قدما دون تجاوز اتفاقية جنيف الرابعة ، كخطوة اولى الى ان يتم استبدال سلطة الاحتلال بأخرى ذات سيادة في الاراضي الفلسطينية المحتلة ، عبر ممارسة الفلسطينيين لحقهم في تقرير مصيرهم واقامة كيان خاص بهم ·

ما الداعي لان نكسر الباب ، طالما انه يفتح بالمفتاح بسهولة ·

Digitized by Birzeit University Library

(الامم المتحدة
بين الاستقلال والاستغلال
في حرب الخليج)

عصام يونس / غزة

يثير الدور الذي لعبته الامم المتحدة خلال حرب الخليج العديد من التساؤلات في ذهن اي مراقب للاحداث وتطورات الاوضاع عالميا، خصوصا ما يتصل بمؤسسة دولية كالأمم المتحدة انشئت اساسا وكما جاء في الكلمات الاولى لميثاقها: «لتجنيب الأجيال خطر الحروب ... ولخلق اجواء العدالة والسلم ...» ،ان دور الامم المتحدة خلال حرب الخليج يجعل التساؤل مشروعا: هل نحن مقبلون على مرحلة جديدة سيكون للأمم المتحدة فيها دورا يختلف عن سابقه؟ وبكلمات أخرى هل نحن مقبلون على مرحلة ستكون الأمم المتحدة فيها احدى مؤسسات «النظام العالمي الجديد» الذي تسعى الامبريالية لخلقه؟ سيما وان الامم المتحدة قد وضح دورها خلال الحرب بانحيازها لصالح الامبريالية فهي المكان الذي اعطى الشرعية لتدمير مقدرات شعب العراق ولحماية المصالح الامبريالية عالميا والمسألة هنا ليست دفاعا عن العراق، فلذلك حديث أخر لا مجال له هنا.

منذ احتلال العراق للكويت اصدر مجلس الامن ١٢ قرارا كان اولها في الثاني من اغسطس بعد ساعات من الاجتياح العراقي للكويت وكان آخرها في التاسع والعشرين من نوفمبر حيث اعطى الضوء الاخضر للتحالف الاطلسي لضرب العراق، ولقد استند مجلس الامن اساسا في قراراته وكما جاء في تلك القرارات على مواد الفصل السابع، الثلاثة عشر من ميثاق الامم المتحدة المعنون بالأعمال المتعلقة بتهديد السلم والإخلال به ووقوع العدوان».

وغني عن القول أن أي ظاهرة لا يمكن فهمها وتفسيرها بمعزل عن السياق التاريخي الذي جاءت به وعن جمل الظروف المحيطة، فما حدث من استغلال للامم المتحدة من قبل الامبريالية، والدور الذي لعبته اثناء الحرب لم يكن وارد الحدوث لولا التطورات العالمية التي اثرت مباشرة على الامم المتحدة كهيئة دولية، حيث ادت تلك التطورات والمتغيرات العالمية الى افراز نهج جديد في العلاقات الدولية، لعل ابرز

Digitized by Birzeit University Library

ذلك هو طبيعة العلاقة المستجدة بين الشرق والغرب .. روستروبكا غورباتشوف وتحديدا ما يتعلق منها بالسياسة الخارجية وفّر الأرضية الملائمة لأن تُستغل الأمم المتحدة لخدمة مصالح الولايات المتحدة وحلفائها بشكل مباشر فالعلاقة لم تعد قائمة على توازن القوى بل اضحت بكل المعاني علاقة «توازن مصالح»، بما يعني ان المصالح الامريكية في الخليج مثلا هي شأن امريكي يجب ان يؤخذ بالحسبان في المعمارة السياسية الخارجية السوفيتية، اضف الى ذلك الانهيارات المتسارعة في اوروبا الشرقية، حيث ادى كل ذلك بدوره الى اعادة صياغة التفكير الامبريالي عالميا، باتجاه نظام دولي جديد يتزعمه قطب واحد هو الولايات المتحدة الامريكية ... وكان اول الاختبارات للتفكير والنظام الدولي الجديد هو بروز العراق كقوة اقليمية تسعى لتخفيف شروط التبعية والالحاق مما يشكل من وجهة النظر الامبريالية تهديدا لمصالحها في الخليج ... وغني عن القول ان كل ذلك وفّر التربة الخصبة لاستغلال الأمم المتحدة سيما وأن الاتحاد السوفييتي قد تخلى وبشكل طوعي عن دوره كقوة عظمى بسياسة توازن المصالح ... وما آل اليه سيناريو ضرب العراق خير شاهد على ذلك. لا شك ان احتلال العراق للكويت وما تبعه من قرارات لمجلس الامن قد افرز العديد من الاشكاليات لا بد من مناقشتها من اجل رسم صورة ادق لمدى استغلال الامم المتحدة اثناء الحرب.

اولا: ان ما قام به العراق في الكويت هو احتلال بكل المقاييس وانتهاك صريح وواضح لميثاق الامم المتحدة حيث لا يجوز الاعتداء على سيادة دولة عضو في الامم المتحدة ومن اجل ذلك لن اتخذ موقف المدافع عن العراق بخطوته تلك، ولكن يجب الاقرار ان الحدود بين الدول العربية لا تتخذ صفة القداسة وهي قضية لا بد من تعميق النقاش حولها بارتباطها بميثاق الامم المتحدة خصوصا ما يتعلق بحق اي بلد في حدود آمنة ومعترف بها عندما أقر ميثاق الامم المتحدة في العام ١٩٤٥ كانت غالبية الدول الموقعة عليه الآن غير موجودة اساسا وكانت حدودها لم تخلق بعد، حيث كانت كتلة الدول تلك اي ما يسمى بالعالم الثالث الآن ما هي الا مستعمرات تسيطر عليها قوى الاستعمار الاوروبية ولم يكن خاطرا على بال المجتمعين في سان فرانسيسكو في العام ١٩٤٥ ان الاستعمار سيزول خلال هذا القرن او ان دولا كالموجودة الآن ستوجد، وهذا يشكل منطلقا اساسيا لفهم ميثاق الامم المتحدة، فالحديث عن دول وعن حدود مقرون هنا بالتجربة الاوروبية حيث كانت عملية تشكيل الدولة ورسم الحدود عملية تاريخية اعتمدت على التجانس الثقافي واللغة وعوامل أخرى وأهم من ذلك هو قبول الموجودين ضمن حدود الدولة بتلك الحدود وهي عملية خضعت للمفاوضات حينا وللحرب حينا آخر الى ان استقرت على ما هي عليه وحدوث شكل السيادة وطبيعة الحدود ولكن الحديث عن الحدود بين الدول العربية او حتى الدول نفسها حديث يختلف جذريا عن ما سبق تناوله فالحدود بين الدول العربية - وكذلك الحال لباقي الدول الستون الاعضاء في الامم المتحدة - هي تلك الخطوط التي تظهر على الخرائط والتي رسمتها الدول الاستعمارية من اجل مصالحها بدون اخذ رأي ساكني تلك المنطقة من العرب، فلقد قامت بريطانيا وفرنسا على اثر هزيمة الامبراطورية العثمانية بوضع الخطوط والفواصل وقسمت المنطقة العربية فيما بينها مما ترتب عليه ظهور مناطق منفصلة قائمة بذاتها اصبحت دولا فيما بينها بعد الكويت والاردن ولبنان ... الخ وبالرغم من كل ذلك فان الشعور بعدم عدالة تلك الحدود والايمان بوحدة تلك الدول العربية قد بقي راسخا في وجدان الشعوب العربية بالرغم من ان الامم المتحدة قد اقرت تلك الحدود واصبحت تلك الدول اعضاء فيها مع فارق المفاهيم بين التجربتين العربية والاوروبية، فاذا كان سهلا على الجميع وتحديدا على الامم المتحدة ان تستوعب مطالبة اوكرانيا او لاتفيا بالاستقلال عن الاتحاد السوفييتي نظرا لأن كلا من جمهوريات الاتحاد السوفييتي هي دولا قائمة بذاتها يجمعها تاريخ وحضارة ولغة وقومية وان ضمها للاتحاد السوفييتي لا يعني ان تلك المفهوميات قد ذابت وانه منذ ان ضمت للاتحاد السوفييتي كان محتما لكل ذلك ان يبرز فان محاولات الوحدة العربية سواء كانت سلما او حربا او عدوانا ستتكرر لأن الخصوصيات موجودة عند الشعوب العربية ومحاولات تجزئة الوطن العربي الا مؤقتة ومن هنا يجب محاكمة الاحتلال العراقي للكويت، بالرغم من انني اعارضه واعارض هذا الشكل من الوحدة ان كان المقصود هنا وحدة عربية.

ثانيا: بعيدا عن شعارات تطبيق الشرعية الدولية والديمقراطية وحقوق الانسان فان ما دفع الامبريالية وبسعي محموم منذ احتلال العراق للكويت لتوجيه ضربة عسكرية للعراق هو المصالح الطبيعية للامبريالية، فتأمين وصول النفط للمراكز الامبريالية هي مسألة لا تحتمل اي نقاش هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الحفاظ على الوضع القائم يضمن للامبريالية السيطرة على المنطقة ونهب ثرواتها وقمع شعوبها، فاستغلال النفط من جهة ومن جهة اخرى تدوير عوائد النفط لصالح المركز

Digitized by Birzeit University Library

الامبريالي.

مع التطورات العالمية التي حدثت منذ منتصف العقد الماضي وانهيار المنظومة الاشتراكية وتبني الاتحاد السوفييتي للبروسترويكا وبدافع ترسيخ السيطرة العالمية للامبريالية وفق نظام جديد للقوة سعت الامبريالية بزعامة قطبها الولايات المتحدة لخلق نظام دولي جديد يخدم مصالحها مباشرة وقد جاءت قضية الخليج لتبين عدة قضايا اولها ان النظام الدولي الجديد هو نظام للقوة وللقطب الواحد، وثانيها ان بروز العراق كقوة اقليمية خرجت من حرب طويلة مع ايران منتصرة ونات امكانيات اقتصادية وبشرية كبيرة لم يرق للولايات المتحدة وحلفائها حيث رأوا بذلك تهديدا لمصالحها في الخليج. ومن اجل كل ذلك كان لا بد من ضرب العراق وهذه المرة عبر تشريع من الامم المتحدة لما سبق وذكرناه بأن النظام الجديد يقتضي ذلك ... فقد سبق للولايات المتحدة ان استخدمت عصاها الغليظة كما اسمت سياستها بالهجوم المباشر على فيتنام وليبيا وغرينادا وبنما ولكن الصورة تختلف الان.

على ضوء ذلك يكاد لا يختلف اثنان على ان الولايات المتحدة ذات مصلحة خاصة جدا في ضرب العراق فهل غاب عن بال الامم المتحدة ذلك ... لقد تساوقت الامم المتحدة وشكلت غطاء لتلك المصالح، وقد احسنت الامبريالية استغلالها باستصدار قرار من مجلس الامن يعطي الشرعية لتدمير العراق بدلا من تجنيب المنطقة مخاطر الحروب ....

اما اذا كانت القضية قضية احتلال وكفى فسيكون على الامم المتحدة لزاما التعامل مع قضايا الاحتلال بنفس المستوى فيما يخص احتلال الضفة والقطاع التي ملّت جدران الامم المتحدة منها من تكرار مناقشتها.

ثالثا: منذ بداية الازمة لم يترك للحل العربي الفرصة لحل المشكلة سلميا خصوصا وان هناك مؤسسة من مهامها معالجة هكذا ازمات الا وهي جامعة الدول العربية فالمادة ٥٢/٣ من ميثاق الامم المتحدة تؤكد على ان مجلس الامن يشجع التطورات نحو حل سلمي للنزاعات المحلية من خلال ترتيبات اقليمية او من خلال مؤسسات اقليم سواء بمبادرة من الدول المعينة او بالمرجعية من مجلس الامن ، فقبل الشروع في اقرار الحرب لا بد من التدرج في حل المشكلة، فالامم المتحدة لم تتبع ما جاء في ميثاقها حيث كان بمقدور البديل العربي حل المشكلة لو أعطى الفرصة لذلك خصوصا وانها ازمة عربية - عربية، ففي نزاع ١٩٦١ بين العراق والكويت لم يستطع مجلس الامن حل المشكلة في دورته المنعقدة بتاريخ ٧ يوليو ١٩٦١ بينما استطاعت الجامعة العربية في ٢٠ يوليو ١٩٦١ الخروج بقرار ينهي المشكلة ويقبله المطرفان وهو القرار ١٧٧٧/٣٥.

منذ بداية الازمة كانت الولايات المتحدة عازمة على ضرب العراق وبالتالي فقد نجحت في استغلال الامم المتحدة حيث سرعت في استصدار قرارات تضمن لها ذلك هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الولايات المتحدة وبريطانيا لم تسمحا من جهتهما للحل العربي ان يصمد فمنذ الايام الاولى لاحتلال العراق للكويت قامت الولايات المتحدة وبريطانيا بارسال جيوشها الى منطقة الخليج قبل صدور قرارات بذلك من الامم المتحدة وقد بررتا ذلك بأن الحكومة السعودية قد استدعتهما لحماية سلامة اراضيها، وهذا يذكر بدخول القوات السوفياتية الى افغانستان بدعوة من حكومتها حيث كان يشكل ذلك من وجهة النظر الامريكية احتلالا سوفياتيا لافغانستان ... اذن فالولايات المتحدة وحلفاؤها كانت تسرع بتدويل المشكلة وزج الامم المتحدة في ذلك وبتر اي امكانية لحل عربي او حتى اي حل آخر وكان المقصود تنفيذ مخطط متكامل ويوميا الان بعد الحرب نتناس ماهيته وابعاده.

رابعا: يتضمن الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة نوعان من الجزاءات بحق الدولة المعتدية الاول: جزاءات غير عسكرية وتشمل الحظر بكل انواعه وقطع الاتصالات بما فيها العلاقات الدبلوماسية اما الثاني: فهو استخدام القوة المسلحة من خلال لجنة الاركان العسكرية، وقد قامت الامم المتحدة بتطبيق هذين النوعين من الجزاءات بحق العراق، الا ان تطبيقهما وما رافقه يضع العديد من التساؤلات سنحاول مناقشتها، فعملا بأحكام المادة ٤١ من ميثاق الامم المتحدة اصدر مجلس الامن قرارا يقضي بفرض العقوبات الاقتصادية ويحظر التعامل مع العراق وهو القرار ٦٦١ وقد طبقت الدول قرار الامم المتحدة الا ان الولايات المتحدة المتحدة وبعد فترة من ذلك القرار شرعت بفرض حصار بحري على العراق مما شكل تصعيدا للموقف واعتبر خرقا لاحكام قرار مجلس الامن وقد اعتبره الاتحاد السوفييتي تجاوزا لقرار مجلس الامن ٦٦١ واعتبر ان مجلس الامن هو صاحب السلطة في تعديل قراره كما ان الامين العام للامم المتحدة اعتبره انتهاك لميثاق الامم المتحدة. اذن فنحن امام صورة واضحة عن الرغبة الامريكية في توجيه الضربة العسكرية للعراق حيث تحاول استباق قرارات الامم المتحدة.

ان اخطر ما في الموضوع هو ما يتعلق بالانتقال في الجزاءات من النوع الاول الى الثاني اي من ما تقره المادة ٤١ من الميثاق الى المادة ٤٢ منه وما يليها فهو ليس اعتباطيا ويجب حسب ما يقرره الميثاق في

Digitized by Birzeit University Library

المادة ٤٢ ان يقرر رسميا ان الحظر والمقاطعة الاقتصادية لم تعد تجد وهو ما لم يصدر عن مجلس الامن فالانتقال من المقاطعة الاقتصادية الى حق استخدام القوة يجب ان يسبقه استعراض واقرار رسمي لعدم جدوى المقاطعة الاقتصادية. فمثلا القرار بفرض الحصار البحري على العراق الذي اصدره مجلس الامن بناء على رغبة الولايات المتحدة وهو القرار ٦٦٥ الصادر في ١٩٩٠/٨/٢٥ جاء بعد ١٦ يوما فقط من صدور قرار المقاطعة الاقتصادية.

النقطة الأخيرة: وهي المهمة والمتعلقة بقرارات مجلس الامن التي تجيز استخدام القوة ضد العراق ،فاستخدام القوة يجب ان يتم من خلال لجنة الاركان العسكرية وهي تتكون من رؤساء اركان جيوش الدول الدائمي العضوية في مجلس الامن كما تتحدد مهامها في المواد ٤٦،٤٧ من الميثاق، فقرار الامم المتحدة بضرب العراق لا يعني ان الولايات المتحدة لها الحق في التخطيط وتولي قيادتها وادارة شئونها، بل يجب ان تكون القيادة بالتعاون مع لجنة الاركان العسكرية وعلى الجيوش ان تتقيد بعلم وزي الامم المتحدة لانها صاحبة القرار وهي المسئولة عن تنفيذه، بينما كانت الولايات المتحدة تنتظر القرار فقط ولها مطلق الصلاحية لتنفيذه وقد بدا واضحا ان الامم المتحدة هي الولايات المتحدة، والولايات المتحدة هي الامم المتحدة.

بيان صادر عن الفعاليات الثقافية

ان شعبنا الفلسطيني الصابر الصامد احوج ما يكون الى تجسيد وحدته ولحمته شكلا ومضمونا في هذا الوقت الامر الذي يتطلب منا جميعا العمل على الارتقاء بهذا الشعار الى مستوى العمل به وجعله هاديا ودليلا لنا في مسيرتنا وسيرتنا ٠

ان الفعاليات الثقافية ممثلة برابطة الصحفيين العرب واتحاد الكتاب الفلسطينيين ورابطة التشكيليين الفلسطينيين ورابطة المسرحيين الفلسطينيين اداراتٍ واعضاء يرون في بعض الممارسات التي تمثلت في كتابة الشعارات المتضمنة لبعض الاسماء في منطقة المسرح امر لا يمثل اخلاقيات الشعب الفلسطيني لما تضمنه من اتهامات باطلة بحق ابناء شرفاء لهذا الوطن ٠

ان الفعاليات الثقافية التي تعتبر نفسها الحصن الحصين لوجه شعبنا الحضاري وادوات رقيه وتقدمه وتطوره ، ترى ان اللجوء لمثل هذه الاساليب الخسيسة لن يفت في عضدها بل سيزيدها اصرارا على مواصلة دربها نحو تشييد بناء العز والاستقلال لشعبنا ، ولن تغيرها الاعيب زمرة ممن يستهدفون ضرب ثقافتنا وحضارتنا ومؤسساتنا الوطنية ٠

ان الفعاليات الثقافية ممثلة بكل قلم وريشة وحنجرة تستصرخ ابناءنا واخوتنا واحبائنا نبذ الاساليب التي لا تزرع الا حقدا ومرارة،الامر الذي يرفضه شعبنا جملة وتفصيلا ٠

رابطة المسرحيين الفلسطينيين
رابطة التشكيليين الفلسطينيين
رابطة الصحفيين الفلسطينيين
اتحاد الكتاب الفلسطينيين

المراجع :-

- Charter of the united nations and statute of the International court of Justice.

السياسة الدولية الاعداد يناير ١٩٩١ العدد ١٠٣
ابريل ١٩٩١ العدد ١٠٤

جريدة القدس الصادرة يوم ١٩٩٠/٨/١٨

- Middle east Report March April 1991

Digitized by Birzeit University Library

ويبقى المنهج الجدلي هو الاصح

محسن أبو رمضان

حينما حدثت الأزمة الاقتصادية الشهيرة في بنية النظام الرأسمالي العالمي - في بداية الثلاثينات وبدأت التفاعلات الاجتماعية - والطبقية تبرز بسبب أزمة الركود والتضخم - وعلى أرضية تلك الازمة وبهدف امتصاص حدة التناقضات الاجتماعية - تبلورت النظرية البنائية الوظيفية التي عززها بارسونز منطلقا من دور كهايم - محاولا اضفاء نسقا من القيم المرجعية «الضمير الجمعي»، الذي يضبط ويوجه السلوك بوصفه الاطار المرجعي - الذي يساهم بتحديد انماط التقاليد والاعراف ويصبغ حركة السلوك اليومي - للفرد في إطار الجماعة، هذا السلوك الذي لا يخرج عن المفاهيم الجماعية - وبالتالي فقد كانت هذه النظرية استاتيكية الطابع - لا ترى التناقض وتنكر الصراع وتختزله بمصطلح «المنافسة» وتصر على وجودها أي «المنافسة» في إطار وحدة النسق وليس خارجه أو بهدف تغيره - بل بهدف تقرير التوازن والانسجام والتناغم.

وعندما بدأت ارهاصات التناقضات والصراعات تبرز وبشكل أوضح وأكثر تبلورا - بحيث بات من غير المنطقي اخفائها حاول بعض المنظرين أمثال كوزر ودراندروف - استخدام مصطلح الصراع ليس كأداة تحليلية منهجية لفهم التفاعلات والمتغيرات الاجتماعية - الاقتصادية - ولكن بهدف الاستخدام الوظيفي لهذا المصطلح - أي ان وظيفة الصراع أصبحت وظيفة «نسقية» - توازنية - تحافظ على وحدة النسق الاجتماعي - وترفض تغيره - فالتناقضات تتم حسب كوزر على مستوى المعايير وليس على مستوى القيم وبالتالي فان التناقضات تعمل على اعادة صياغة النسق وفرز مفاهيم - معايير جديدة - من أجل تعزيز وحدة النسق أي وحدة النظام العام، وهذا ما عبر عنه دراندروف ايضا في مسألة الحتمية السياسية ، حيث أن الصراع يعيد توازنات النخب السياسية - في بنية سلطة الدولة - وهرمها الاداري الاجتماعي - وبالتالي فان هذه الرؤية التوفيقية استخدمت مفهوم الصراع - بوصفه يخدم وظيفة اجتماعية - تعمل على تعزيز او اعادة صياغة وحدة النظام ونسقه الاجتماعي القيمي.

وكما كانت النظرية البنائية الوظيفية - تحافظ على وحدة النسق والنظام العام - هكذا تم ولكن بكيفية اخرى تجاه - مفهوم الصراع - الذي أرسى قواعده ماركس - حيث أعتبره اداة منهجية لفهم المتناقضات - الاجتماعية - الاقتصادية - والسياسية الامر الذي يؤدي الى فهم آليات التغير - في صيرورة وديناميه فاعلة الى الامام بالانتقال الى ماهيات او ظواهر اخرى - في إطار عملية ديالكتيكية ترابطية. ان هذا الفهم الجدلي والذي ربطه ماركس بفهم حركة التاريخ المادي، تم اختزاله، عبر المدرسة السوفييتية - وأصبح يبرر سلطة النظام العام في إطار البلد "الاشتراكي". وقد تجلى ذلك بالتالي: استخدمت المنهجية الجدلية في فهم الصراع والتناقضات لكشف أزمات

Digitized by Birzeit University Library

ومثالب النظام الرأسمالي من بطالة وتضخم وديون وعجز في ميزان المدفوعات... الخ. ولم تستخدم نفس الاداة "المنهجية" في ادراك ومعرفة المتناقضات والتفاعلات في بنية "المجتمع الاشتراكي". لذلك لم يتم تشخيص الامور التالية:

أ- النخبة السياسية "الحزب". والذي أصبح الشريحة والتي أسمت ذاتها بالطليعية - أصبحت تفكر عن الجماهير وتصيغ شعاراتها وتعتبر نفسها الاكثر حرصا عليها - وبالتالي لم يتم تشخيص ذلك - وكذلك تم باسم "الطليعية" تغيب بل وقمع اي مشاركة شعبية في العملية السياسية وعدم السماح لها بالتعبير الا بالكيفية التي يريدها النظام - وأعتبار أي رؤية مخالفه أنهامعارضة ·

ب - ديكتاتورية البروليتاريا: والتي أصبحت تعنى ديكتاتورية لشريحة أجتماعية تبوأت المركز القيادي في الدولة وبالتالي فان الدورة الاقتصادية والتراكمية المالية أصبحت لصالح هذه «الديكتاتورية» والتي لم تكن تعنى عمليا سوى ديكتاتورية الحزب ثم الشريحة العليا من الحزب - ثم المسؤول الاول في الحزب اي ديكتارية الامين العام. ويذكر انه تحت هذا الشعار جرى ارتكاب العديد من المجازر الدموية الجماعية بحق الجماهير المعارضة - نذكر منها - قمع الفلاحين في بداية الثلاثينات - والذين رفضوا الاستجابة لمشروعات الكلخوزات السوفيتية - التي طبقت بقرار اوامري ستاليني في تلك الفترة ، وفي اطار هذه الديكتاتورية جرى قمع واغتيال الديمقراطيين، الامر الذي تناقض مع فهم ماركس للاشتراكية بوصفها الشكل الراقي للديمقراطية حيث مشاركة الجماهير العاملة في الانتاج بالطابع الاجتماعي وبالتملك ، وبالتالي حل التناقض الاساسي الموجود في النظام الرأسمالي بين "العمل ورأسمال" - وبالتالي ضرورة المشاركة الشعبية بصنع القرار السياسي وبالقدرة على تحديد الشعارات والمسير المرحلي والمستقبلي وفي ادارة شؤون البلاد اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ·

وعليه - فقد ادى تجميد المنهج الجدلي في فهم التناقض والصراع في بنية " المجتمع الاشتراكي " ،وكذلك اعتماد رؤية النظام العام وفق اسقاطات المدرسة البنائية الوظيفية في المجتمع الصناعي - الرأسمالي - الى التفكير الجاد من احد رواد علم الاجتماع المعاصر والمجسد " برايت ميلز " · والذي استطاع استخدام منهجية - جدلية - نقدية - وصياغة رؤية رافضة للنظام العام · وللجمود والاستاتيكية - ناقدا المدرسة الوظيفية بانها تتجاهل التغير والصراع وكذلك ناقدا منهجهم البحثي المعتمد على الفهم المنعزل - الجزئي - التجريبي للظاهرة دون ربطها مع الظواهر الاجتماعية الاخرى - الأمر الذي افرز في المجتمع الراسمالي ما عرف باسم " اختصاصيو الطرق " - بوصفهم شريحة تكنوقراطية - سوسيولوجية - سياسية ، تخدم مصلحة النظام البرجوازي - الصناعي - وطبقته الاجتماعية المهيمنة ، كما استطاع برؤيته النقدية من تغذية الرؤية السوفيتية التي اختزلت الصراع في فهم بنية النظام الرأسمالي فقط دون التطوير - فيو اطار المرجعية للمقولات الكلاسيكسية الجامدة - في الماركسية، والتي اضحت غير قادرة على تفسير المتغيرات الهيكلية الجديدة التي برزت في بنية المجتمع الصناعي - الرأسمالي ، وفي مقدمة تلك المتغيرات الهيكلية : - 1- تغير طبيعة البروليتاريا - وفق التصور الماركسي السابق · فالطبقة العاملة في المجتمع الرأسمالي - لم تعد قوة اجتماعية كبيرة عديدا - تقف وراء الماكنة وتشعر بالاغتراب - حيث ان المردود الانتاجي لا يعود لها · بل لمالك وسائل الانتاج - بل برزت طبقة عاملة جديدة من اصحاب الياقات البيضاء - الذين يعملون في الاطار التقني - التكنيكي - كما ان العاطلين عن العمل اصبحوا يتقاضوا - ضمان اجتماعي " ورغم ان ذلك تم على حساب شعوب العالم الثالث التي تم استنزاف دخلها واستغلال خيراتها المادية واستجلاب قوة عملها ٠٠٠ الخ ، الا ان ذلك غير من الطبيعة الكلاسيكية للطبقة العاملة، الأمر الذي اعاد النظر بالفهم الابتاري لمارکس عبر مقولة " يا عمال العالم اتحدوا "، حيث اصبح من اليوتوبيا - تضامن العامل الامريكي والذي حقق مكتسبات محددة مع عمال العالم الثالث - وهذا ما أكده بعض الماركسيين فيما بعد أمثال لوكاس - والذي تحدث عن الوعي الممكن والناتج من الواقع المادي الاجتماعي - وذلك في مواجهة - الوعي الأمعي - وفق الفهم الماركسي الكلاسيكي ·

٢- تشكيل طبقة وسطى جديدة، حيث أصبح هناك فصل بين الادارة والتملك - بحيث انهما لم يعودا مقصورين على البرجوازية بل اصبح هناك اسهما معينة لبعض الاداريين في ادارة شؤون الشركة او المصنع - الامر الذي ابرز طبقة وسطى جديدة تداخلت مصالحها مع مصالح الملاك وبالتالي فقد تقلص الصراع موضوعيا بينها وبين البرجوازية المالكة ·

٣- لقد ادى ما تقدم " وجود طبقة عاملة جديدة - ووسطى جديدة " - اضافة للتغيرات البنيوية الاخرى وفي مقدمتها تشكيل نخبة سياسية - عسكرية - اقتصادية - الى حديث ميلز عما اسماه " المجتمع الصناعي - العكسري " الذي اصبح يحتكر السلطة، ويدير جهاز الدولة ولا يسمح بالحراك الطبقي والاجتماعي · فتلك الشريحة تحدد القوانين والآليات حسب مقتضيات مصالحها بالأساس - الامر الذي

Digitized by Birzeit University Library

رفض به رجب تلك الرؤية " الجديدة " منطق المدرسة الوظيفية - عن الحراك في اطار النسق - كما رفض مقولة انتهاء الصراع الطبقي في المجتمعات " الاشتراكية " وفق ادعاء المدرسة السوفيتية- وقد ابرز " ميلز " ان تلك الشريحة هي السائدة في كلا النظامين .

وعليه- فقد استطاع ميلز صياغة منهجية - جدلية - نقدية - جديدة - رافضة للاستاتيكية - البنائية الوظيفية - وكذلك رافضا للمدرسة السوفيتية - والتي اختزلت مفهوم الصراع - ولم تستخدمه لدراسة شؤون مجتمعها وحركته وفاعليته وتناقضاته الاجتماعية، الامر الذي وضع المنهجية الجدلية - في فهم الصراع - في اطار البرنامج الدعائي والايديولوجي - الموجه سياسيا - ضد الانظمة الرأسمالية - فقط - فاصبح المهم هو كشف اخطاء وعيوب وازمات الرأسمالية . واصبح من الجريمة بمكان استخدام نفس الأداة المنهجية التحليلية في فهم التناقضات والتراتبات والتمايزات الاجتماعية في البلدان " الاشتراكية " الأمر الذي حجم تلك المنهجية - وأصبحت " نظامية " الطابع على ارضية الفهم السوفيتي .

وفي حقيقة الامر فقد استطاع ميلز وضع الأسس النظرية - المنهجية - التحليلية المناسبة - وصياغة رؤية نقدية لا تأخذ الامور باطارها الجامد - بل تفهم الظواهر - بترابطها وديناميتها وحركتها ، ولقد لاقت تلك الأسس ، في تلك الفترة ، آذان صاغية لدى العديد من علماء الأجتماع والمدارس السوسيولوجية - وعليه فقد استطاع " جيلوس " - وهو شيوعي يوغسلافي سابقا - في بداية الخمسينات من كشف التراتبات الطبقية الاجتماعية الجديدة - عبر الحديث عن " شريحة الاداريين البيروقراط " من الحزب - الذين استحوذوا جهاز الدولة وسخروه خدمة لمصالحهم - وهذا ما عبر عنه باستخدام مصطلح " البيروقراطية الحمراء " ، التي اعتبرها سائدة ومهيمنة في كل الاحزاب الشيوعية التي تسلمت زمام الحكم على اثر الحرب العالمية الثانية في بلدان اوروبا الشرقية ، ملتقيا بذلك مع مفهوم النخبة الذي تحدث عنه ميلز .

كما برزت مدارس سوسيولوجية في الغرب - نذكر في مقدمتها مدرسة فرانكفورت - ومنها ماركوزة وهيبر ماس - الذين ادركوا التغيرات البنيوية الهيكلية في البلدان - الرأسمالية الصناعية - وتاثروا كذلك بما حدث عبر ثورة الطلاب عام ٦٨ والتي انطلقت في باريس - وتعممت على بلدان اوروبا الشرقية " تشكيوسلوفاكيا ، المجر ، يوغسلافيا " وكذلك وصلت الى الولايات المتحدة - وتحديدا في كاليفورنيا ، وقد كانت لثورة الطلاب تأثيرا قويا في الفهم السوسيولوجي الجديد - حيث انها حركة شبابية - طلابية - ثقافية الطابع وغير قائمة على اسس الصراع الطبقي بالفهم الكلاسيكي الماركسي ،رغم حملها لبعض النزعات الطبقية - من خلال شعار " التفكير بالمستحيل " التي رفضته قيادات الحركة الطلابية في باريس ، عبر محاولة التأميم لادارات الجامعات ،واحلال ادارات طلابية ، شعبية بدلا منها، ولقد تزامنت ثورة الطلاب في تلك الفترة مع بروز حركات شعبية - ديمقراطية اخرى ، أمثال حركة السلام التي كانت تطالب بوقف حرق فيتنام وكذلك حركة الحقوق المدنية ، الانسانية ، حيث كانوا يطالبون بوقف التمييز والاضطهاد بحق السود في امريكا والبلدان الرأسمالية الصناعية وضرورة إنخراطهم الأجتماعي والسياسي في النظام والتعامل معهم بمساواة في الحقوق والواجبات ومنحهم فرص الحراك الاجتماعي والسياسي .

كما برز كل من بوتومور وجون ركس عالما الاجتماع البريطانيين واللذين اعتبرا الاستناد للفهم الجدلي الماركسي في فهم آليات التغير والصراع والوحدة والحركة رافضين في نفس الوقت العقائدية - الجمودية - الماركسية والتي تحولت الى ايقونات الامية داعين الىاستخدام الاداة المنهجية الجدلية لكشف مثالب وعيوب الاشتراكية ايضا - والتي تم تصويرها انها خالية من الاستغلال والتميز الطبقي - ملتقين مع فهم " جيلوس " حول البيروقراطية الحمراء ، والمتجلية بمنح الامتيازات لدى اعضاء اللجنة المركزية في الاحزاب الشيوعية الحاكمة والتي اصبحت بمثابة شريحة نخبوية - طبقية متنفذة - مغلقة بشعارات محاربة الاستغلال والطبقية ، والتصدي للنظام الرأسمالي العالمي . فقد دعيا الى استخدام تلك المنهجية الجدلية في فهم الصراع ولكشف كل الظواهر الاجتماعية في كلا النظامين الرأسمالي والاشتراكي - وهذا ما عبر عنه بوتومور حينما قال " انني مع منهج ماركس ولكنني لست مع الماركسية "مميزا" بين المنهجية الجدلية التحليلية برؤيتها النقدية - وبين الجمودية العقائدية " الماركسية " التي كانت رائدتها المدرسة السوفيتية .

وكما برز " اليسار الجديد " في الغرب - من خلال ما قدمناه اعلاه " مدرسة فرانكفورت ، بوتومور ، جون ركس " والعديد من العلماء الاجتماعية في فرنسا وامريكا ، ظهرت ايضا رؤية " الماركسية الجديدة " والتي دخلت في صراع ايديولوجي مع الماركسية " السوفيتية " وقد تجلى ذلك في الرؤية الصينية التي ركزت على وجوب فهم الواقع الخاص ، طبقيا واجتماعيا وسياسيا حيث ان الفلاحين هم القوة الأكثر عددا - وبالتالي فهي القوة الرئيسية المحركة للثورة - حيث

Digitized by Birzeit University Library

استطاع ماوتسي تونغ الاستفادة من تجربة محاصرة اضراب العمال في شنغهاي من قبل الكمونتانغ ، واعتبر على ضوء ذلك ،ان التركيز على الفلاحين هو الأهم - وقد تجسد ذلك بالانسحاب الى الجبال - وتنظيم وتعبئة الفلاحين سياسيا وكفاحيا وفكريا - وكذلك ركز ماوتسي تونغ على وجوب الاستفادة من التراث المعرفي والفكري الخاص • وبغض النظر عن الاخفاقات والاشكالات والتحولات التي تمت بالمواقف الصينية وتحديدا في بداية السبعينات ، والعلاقة الاقتصادية والاستثمارية الرأسمالية التي تمت من قبل الغرب ، الا ان ما يهمنا هو مسألة فهم الواقع الخاص - دون الذيلية للمدرسة السوفيتية والتي كانت تضع مقاييس ومعايير تفترض انها الصحيحة " علميا " ودونها تشكل " انحرافا " ، وقد تجسدت ايضا مسألة التركيز على الخصوصية في كل من تجربة جيفارا على ضوء النجاحات التي حققتها ثورة كوبا - وذلك من خلال البؤر الثورية التي تنتقل من موقع الى اخر - بالاستناد الى الفلاحين والطلاب الثوريين والعسكر - وكذلك في فهم قانون - المستند الى الفلاحين والبروليتاريا الرثة - التي اعتبرها قوة التغير الاجتماعي الاساسية، خاصة في ظل فساد الانتلجنسيا استهلاكيا ومعرفيا - وفي ظل الضعف الكمي - العددي للطبقة العاملة في بلدان ما يسمى بالعالم الثالث • وكما برزت الماركسية الجديدة في بلدان العالم الثالث - ظهرت ايضا في بلدان اوروبا - وقد كان ذلك واضحا في فكر غرامشي - الذي تحدث عن وجوب ترسيخ تراث برلماني - ديمقراطي - قائم على اسس التعددية السياسية والحزبية ومن التداول السلمي للسلطة - التي اعتبرها وسيلة لتحقيق هدف العدالة والديمقراطية والتقدم - وليست هدفا بحد ذاتها - حسب الرؤية الكلاسيكية الماركسية التي كانت سائدة في تلك الفترة ان هذا الفهم والذي تعزز عبر تجربة " الشيوعية " الايطالية - أخذ بعين الاعتبار الطابع الديكتاتوري لسلطة الحزب الأوحد - ومثالبها وبروزها بالكيفية البيروقراطية المتنفذة ، مستفيدا من تجارب اوروبا الشرقية واحزابها " الشيوعية " الحاكمة • وقد أخذ بعين الاعتبار ايضا التطور الديمقراطي بجهاز الدولة في البلدان - الرأسمالية ، حيث استقلالية الاجهزة قانونيا ودستوريا عن طبيعة الحزب السياسي الحاكم وبغض النظر عن ماهية هذا الحزب فالتشريعات عن حقوق الأنسان وانظمة الامن والدفاع والشرطة والصحة والتعليم والرفاة ، لها استقلاليتها التي لا يستطيع الحزب الحاكم تغييرها ، الا بآلية برلمانية ودستورية وباستصدار رسومات قانونية مدعمة برلمانيا •

وعليه فان رؤية الماركسية الجديدة - من خلال ما تم ذكره " ماو - جيفارا - فانون " ، في العالم الثالث • وعبر فكر غرامشي في اوروبا - شكلتا منهجا جديدا في فهم الواقع وأليات التناقض وذلك بشكل مختلف عن المدرسة السوفيتية في التحليل وفي اطار التركيز على الخصوصيات •

ان ما تقدم يشير الى الامور التالية :

١- بروز نظريات سوسيولوجية وسياسية على ضوء المتغيرات الاجتماعية الاقتصادية الطبقية والسياسية •

٢- بروز مفاهيم جديدة على ضوء كل أزمة •

٣- عدم التحجر والاستاتيكية والاستمرارية في التطوير النظري - والمفاهيمي بناء على التغيرات الهيكلية في المجتمعات على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي والسياسي •

٤- سقوط الفهم النظامي سواء بما يتعلق بالمدرسة البنائية الوظيفية التي تهمل وتنكر الصراع ، او بالمدرسة السوفيتية التي حجمت الرؤية الجدلية في فهم التفاعلات في المجتمعات " الاشتراكية " وبالتالي وقعت بالخانة النظامية •

٥- انتصار الفهم الجدلي - الديالكتيكي في تفسير التناقضات وابراز مفاهيم تقدمية ، تطورية جديدة ليس فقط في فهم ازمة الرأسمالية وكذلك في التصدي للجمود العقائدي وفق المدرسة السوفيتية •

٦- ضرورة عدم النسخ للتجارب والمفاهيم والقوالب الجاهزة التي كانت رائدتها المدرسة السوفيتية ، ووجوب التركيز على الخاص ، ليس فقط اقتصاديا ، واجتماعيا بل ايضا معرفيا وتراثيا كما أثبتت العديد من التجارب العالمية، والتركيز على الخاص هنا لا يعني قطع العلاقة مع الانساني والعالمي ، بل الاستفادة من الأخير وتجييره خدمة للخاص المحلي•

- على ضوء ما تقدم فان الزلزال الذي اجتاح بلدان اوروبا الشرقية وادى الى الانهيار الشمولي لأبنيتها الاقتصادية الاجتماعية والسياسية - كما ادى الى تهميش دور الحزب وتحلل جهاز الدولة وتفككها وسيادة النزعة الاقليمية القومية - الاثنية كما تم ويتم في الاتحاد السوفيتي ويوغسلافيا - نقول ان هذا الزلزال الذي اجتاح تلك البلدان وأدى الى سقوط المركزية الستالينية وبيروقراطيتها " الحمراء " قد أكدت الحقائق التالية :-

١- ان تلك التجارب - كانت بعيدة عن الفهم الاشتراكي الذي يركز على الانساني - الديمقراطي وليس على القمع والبيروقراطي•

٢- ان تلك التجارب - اثبتت فشل نموذج ديكتاتورية البروليتاريا والذي كان يعني ديكتاتورية - الشريحة البيروقراطية الحزبية - الحاكمة •

٣- ان الديمقراطية والتعددية وحقوق

Digitized by Birzeit University Library

الانسان في التعبير والانتقاد والمشاركة في العملية السياسية تشكل حقا لا يمكن تجاوزه تحت شعار " عدم وعي الطبقة لذاتها - او الوعي الزائف " .

٤- ان التعددية السياسية والتداول السلمي للسلطة مع فصل الادارات - ووجود قوانين مدنية ثابتة في اجهزة الدولة بغض النظر عن الحزب السياسي الحاكم تشكل ضرورة هامة يجب تحقيقها والنضال باتجاه ترجمتها - ولتكن المبارأة في الشارع على كسب الجماهير - وليس على تضليلها او قمعها .

٥- ان الحقائق البسيطة الواردة اعلاه والتي نتجت عن اخفاقات التجربة الستالينية " الاشتراكية " لا تعني نجاح النموذج الرأسمالي - والذي تذخره امراض البطالة ، والتضخم والديون والعجز والازمات النفسية الاجتماعية والاخلاقية المعروفة لدى الجميع .

٦- ان سقوط النموذج الستاليني لا يعني سقوط فكرة العدالة الاجتماعية والنضال باتجاه التوزيع المتساوي للثروة وانهاء التمايز والاضطهاد والتي تعتبر الأمل الانساني لكفاح الشعوب ، وعليه فان فكرة العدالة الاجتماعية - اقتصاديا وسياسيا يجب ان يرتبط موضوعيا بالديمقراطية ، والتي تعني تزاوجها مع فكرة العدالة الاجتماعية، الكفاح باتجاه مجتمع انساني - ديمقراطي عادل .

٧- ان زلزال اوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي - يعني في اهم الامور لدى بلدان العالم الثالث ، وجوب التركيز على الخاص ، وعدم الذيلية لأي مركز من المراكز ، والتي ترفع شعارات " ثورية ، تحررية، ومضامين اجتماعية معينة " ، وانما تعني التركيز على فهم الواقع الاقتصادي الاجتماعي الخاص بكل تشابكاته وتناقضاته ، وارتباطاتها بعوامل الصراع الاخرى محليا واقليميا وعالميا ، الامر الذي يستلزم صياغة التكتيك الكفاحي الأنسب المنسجم مع حق الشعب ومطالبه العادلة ، كما يعني التركيز على استلهام التراث المحلي القومي ، والاستفادة من نزعاته المادية الانسانية ، ذات المضامين الايجابية في العدالة الاجتماعية ، وبالتالي العمل على صياغة فكرية سياسية خاصة ، قائمة على فهم الواقع على طريق تغييره ، وعلى ارضية التحليل الملموس ، للواقع الملموس.

وبعد

لقد تطرقنا الى العديد من النظريات السوسيولوجية والسياسية والتي برزت وراء كل مرحلة او أزمة اقتصادية - اجتماعية معينة ، ولقد عرجنا على اليسار الجديد في اوروبا وامريكا . وكذلك على فكر الماركسية الجديدة في اوروبا وفي العالم الثالث ، وذلك لاثبات - التغير المفاهيمي والنظري بناء على المتغيرات الهيكلية البنيوية - المعتملة والمتفاعلة في المجتمعات العالمية . وثم التركيز على فكر ميلز والذي أكد وجوب استخدام المنهجية -الجدلية - النقدية في فهم الصراع وضرورة الخروج من دائرة" النظام العام وبتقديرنا فان ما حدث من زلزال واعصار مؤخرا في الاتحاد السوفياتي ومن قبله في اوروبا الشرقية يستلزم قراءة دقيقة وتفصيلية لما حدث ، وذلك بهدف استخلاص النتائج والدروس ، وفي مقدمتها البحث من الخاص ، الذي يعني القدرة على صياغة منهجية - فكرية - سياسية - جديدة - غير ذيلية او مستوردة من أحدى المدارس - بل القائمة على التحليل الملموس للواقع الملموس وبالتالي - الصياغة الفكرية الملموسة بناء " على الدراسة العميقة - التراثية - المعرفية والاقتصادية السياسية الخاصة . وعليه فان تحدي يواجه القوى ، التي ما زالت مؤمنة بقيم الديمقراطية والعدالة على الصعيد العربي - وذلك بالقدرة على تخطي مكانا واقع مهيمن عليه من قبل القطب الامريكي الأوحد في العالم . خاصة ان هذه الهيمنة ترخي بظلالها وتأثيراتها الفكرية على شعوب العالم الثالث في محاولة لوضعهم في خيار أوحد ، هو البحث عن مقعد في قطار النظام العالمي الجديد بقيادة واشنطن .

واذا كنا ندرك بان حركة التاريخ لا تسير الا الى الأمام فان العودة للسلفية او الأصولية سواء بالمفهوم الاسلامي او الماركسي على الصعيد العربي يشكل ضررا ، ومحاولة لدفن الرأس في الرمال لعدم رؤية الحقائق الجديدة والجديدة ، الأمر الذي يستلزم تكثيف الجهد ، باتجاه صياغة فكرية - معرفية جديدة ، قائمة على الخاص - العربي والاسلامي - المستفيد من الانساني العالمي . خاصة ان هناك أداة قوية ، اثبتت الحياة ، بكل زلازلها ومتغيراتها صحتها الا وهي " المنهج الجدلي " . والرؤية النقدية المستجدة دائما - فهل تستطيع قوى الديمقراطية والعدالة على الصعيد العربي ، من استخدام هذه الأداة بفاعلية ونجاعة وذلك بهدف فهم الواقع على طريق تغييره ؟؟ أم ستظل تندب حظها وتتحسر على الفرات السابقة من التاريخ ، الذي كنا يستند به الى قوة عالمية اسمها الاتحاد السوفيتي ، أثبتت حركة الأحداث انها هشة البنيان ، ان التاريخ وعجلته تسير بوتائر سريعة جدا لا يمكن الوقوف امامها بل يجب استيعابها وادراكها وذلك بهدف القدرة على المواصلة والاستمرارة ، والا فان عجلة التاريخ وقطاره سيمضي ان يكترث للمتفرجين والذين يدعون حتى اللحظة بان الأمور لم تنضج بعد لاحداث التغير والتطوير . وذلك رغم كل الأعاصير التي إجتاحت عالمنا ، وعصفت بالعديد من المفاهيم السابقة .

Digitized by Birzeit University Library

ازمة الفكر بين التقليد والتجديد

د. يسري السيفي

لا حركة ثورية دون نظرية ثورية فلكي يسير المجتمع الى الامام لا بد له من فكر ينير طريقه ، وبغير الفكر الواضح ان استطاع المجتمع التحرك الى الامام ستكون حركته عشوائية • وللفكر ايضا نفس القوة على كبح حركة المجتمع الى الامام فيتعثر المجتمع ويسقط مشلولا عاجزا واسير لفكره • ومن هنا لا يكفي ان نعتنق فكر (ايديولوجية) بل علينا ان نتعلم كيف نتعامل مع ايديولوجيتنا كي لا نكون ضحيتها بدل ان تكون مرشداً لنا.

يشكل الفكر انعكاساً للواقع ولكن ليس بشكل ميكانيكي ومباشر ، فالانعكاس يمر بعدة مراحل ، قبل ان يأخذ شكل الفكر المجرد • فالواقع ينعكس عبر حواسنا بشكل حي او صوري ، ويقوم العقل بنمذجة هذه الصور وتحويلها الى مفاهيم •

وبما ان الظواهر الطبيعية والاجتماعية توجد من خلال علاقة متبادلة • فان العقل يترجم هذه الظواهر الى مفاهيم ترتبط ببعضها البعض بشكل متبادل تؤثر في بعضها البعض • تشكل المفاهيم التي لا يمكن ان توجد خارج اللغة الاساس للتفكير المجرد ، ومن المفاهيم تبنى الافكار او الفكر • ومن هنا يشكل الفكر انعكاس مجرد غير مباشر للوجود الاجتماعي ، ويتمتع الفكر بقدر كبير من الاستقلال الذاتي ، فهو ان كان انعكاس غير مباشر للواقع ، فلديه القدرة على التأثير في الواقع وتغييره • فالفكر يصبح برنامجا معينا على شكل افكار ، يحدد هذا البرنامج الفكري اهداف معينة ، يسعى الفرد لتحقيقها والتي من خلالها يتم تطوير الفكر نفسه بتطور الواقع او المجتمع فالتغيير الذي يحصل داخل المجتمع على الصعيدين المادي والاجتماعي يشكل مادة جديدة للانعكاس التي قد تعمل على تطوير المفاهيم القديمة او تصيغ مفاهيم جديدة ، وبعد ان يكون الفكر قد تطور بتطور الواقع يتقدم على المجتمع نفسه كي يقود حركته .

ان تطور المجتمعات البشرية لا تسير ضمن حدود هذا النموذج فقط ، ان هذا النموذج يكتسب مصداقيته اذا ما نظرنا الى تطور البشرية كوحدة في حاصل حركته ضمن التاريخ • ابتداءً من الصيد والعيش في الكهوف وما رافقه من طقوس كانت تعبر عن الجانب الفكري وصولا الى غزو الفضاء وما رافقه من تطور الفكر في انتاجه الثقافي الهائل • ولكن الرؤية تختلف اذا ما بدأنا بدراسة المجتمعات كل على حدة او تتبع حركة مجتمع معين في مسارها التاريخي •

فنلاحظ ان مركز ثقل الحضارة والتقدم كان ينتقل من شعب لاخر او مجتمع لاخر فكانت هناك حضارات اليونان ، الصين ، الفرس والعرب المسلمين ...الخ • ولكن لماذا لم تستطع هذه الشعوب او المجتمعات في السير قدماً في تطوير حضارتها ؟؟ السبب يكمن في ان هذه المجتمعات قد دخلت في ازمات فكرية لم تستطع تجاوزها ، فالفكر عندما يأخذ شكل مذهب او عقيدة يمتلك امكانيات معينة او محدودة لتطوير ذلك المجتمع • وتستنفذ هذه الامكانيات عندما يصبح تطور المجتمع على ارض الواقع متقدماً على الفكر نفسه • هنا تحصل الازمة فلا يستطيع الفكر ان يقود المجتمع قدما الى الامام • وعملية تجديد الفكر اكثر صعوبة وتعقيدا من تجديد المجتمع ، فتغيير فكر او تجديده يمتاز بالبطء • وهذا ينبع من الطبيعة الداخلية للفكر نفسه ، فالفكر لا يوجد في العقل بشكل افكار مفصولة عن بعضها البعض ، بل ان السمة الرئيسية للفكر او الافكار انها لا يمكن ان توجد الا في شكل منظومة متكاملة وشاملة • مما يوفر للفكر نفسه الثبات والمتانة • ان الوعي او الفكر ليس كدوارة الهواء تغير اتجاهها يتغير اتجاه هبوب الريح ، فالعالم المحيط بنا غني بالظواهر والاحداث وكل فرد يعكس في وعيه او الاصح يختار من هذه الاحداث والحوافز ما يتناسب مع ما يوجد في وعيه اصلا بحيث تلتحم المعلومات الجديدة مع مجموعة الافكار الموجودة في العقل ، فتجد هذه المعلومات مكانا تشغله في ذلك النظام الفكري وتدعم وجوده ولا يمكن للحقائق المثبتة ان تحل محل بعض عناصر النظام الفكري ما دامت تلك الاخيرة متصلة ومربوطة مع مجمل عناصر هذا النظام ولا سيما مع المنطلقات والتصورات الاساسية لهذا الفكر • حتى في المجالات العلمية عندما يتراكم عدد من الحقائق تناقض النظرية العلمية الشائعة او فقدان مصداقيتها حتى لو كانت هذه النظرية الشائعة تعاني من بعض النواقص والعاهات

Digitized by Birzeit University Library

، ما لم تظهر نظرية اخرى تجمع الحقائق المتراكمة في نظام متكامل وشامل ٠ ان هذه الآلية الموجودة ليس فقط بالمجال العلمي ٠ بل في وعي الافراد في تعاملهم مع احداث وحقائق المجتمع ٠

ان الفكر في عقلنا لا يوجد بمعزل عن انفعالاتنا اي عواطفنا ومشاعرنا بل لا يمكن ان توجد فكرة او تصور منفصلين عن الجانب الانفعالي للنفس ، فلو استرجعنا في الذهن بعض الذكريات فسنرى ان الذكريات الجميلة تثير فينا شعورآبالفرح والسرور والذكريات غير المرغوبة كثيرا تثير فينا مشاعر مختلفة لدى حضورها في وعينا وهكذا ان الوعي ومن ضمنه الفكر لا يرجد الا مرتبطا بانفعالاتنا (المشاعر ، العواطف) ٠ وتختلف الاحداث والظواهر بمقدار ارتباطها بانفعالاتنا فهناك ذكريات ومواقف واحداث تكون مؤثرة جدا وهناك بعض منها يثير نوعا من التعاطف وهكذا اذا كانت جميع الافكار والتصورات مرتبطة بالجانب الانفعالي فانها تختلف بمقدار الشحنة العاطفية التي تحملها ، وكما نلاحظ ان الفكر لا يمكن ان يوجد الا بترابط وثيق مع الجانب الانفعالي في نفوس الافراد ، وكلما كانت هذه الافكار تمس حاجاتنا واهتماماتنا ومصالحنا كلما كانت هذه الافكار مشحونة بدرجة اكبر ٠ وبالتالي ستكون عملية تغيير هذه الفكرة واستبدالها لفكرة اخرى اكثر صعوبة ، لانها ستجد مقاومة من قبل العاطفة التي ترافق تلك الفكرة وتكون مربوطة بها ، فعملية تغيير الفكر دوما يصحبها توتر انفعالي (نفسي) ومن الغرابة ايضا ان هناك افكارا كثيرة قد تكون غير واقعية او منطقية حتى باعتراف اصحابها لكنها في غاية الاهمية بالنسبة لهم وتكون على درجة عالية من الشحنة العاطفية .

وهنا نقطة يجب ان نشير اليها وهي ان الجانب الانفعالي للنفس بما يحتويه من عواطف ومشاعر ورغبات وامزجة مضافا اليها حاجاتنا ومصالحنا وتجربتنا الشخصية ومعارفنا كلهم جميعا يؤثرون على شكل او كيفية انعكاس الواقع في وعينا وهذا يقودنا الى استنتاجين ٠ الاول ان نفس الظاهرة لا تنعكس في وعي او فكر الافراد بنفس الصورة والمحتوى ، بل واكثر من ذلك ممكن ان تنعكس باشكال متضادة ٠ وابسط مثال ان كل حدث سياسي ممكن ان يثير اراء مختلفة وقد تكون متضادة لدى مختلف الافراد والفئات ، وهكذا الامر بالنسبة لمختلف الظواهر ، اما الاستنتاج الثاني ان الاحداث والظواهر لا تنعكس بشكلها الحقيقي الكامل في وعينا ٠ لأنه لو كان هناك انعكاس حقيقي كامل لما كان هناك اختلاف في عكس نفس الظاهرة او الحدث لدى مختلف الافراد ، وهذا يؤكد ان الحقيقة في الوعي (الفكر) ناقصة ، اي غير كاملة ، فكل فكر يعاني من قصور ودرجة هذا القصور تعتمد على ما يحتويه كل فكر من ذاتية ٠

فالتعامل مع الرغبات والآمال ٠ وان كانت انسانية على انها الواقع تقود الى وهم فكري يفصل اصحاب هذا الفكر عن واقع نفسه ٠ وذاتيه الفكر تؤكد حقيقة اخرى وهي انا كان الفكر هو انعكاس للواقع فهذا يعني وجود ازاحة معينة في الفكر عن محتوى الانعكاس ٠

ان كل فكر مهما كان اتجاهه يعطي الفرد معنى للحياة ، وينعكس ذلك بشعوره بقيمة نفسه او بقيمته الذاتية ، فيشعر ان له دور في الحياة ، فان اصيب الفرد بالشك والحيرة في مصداقية فكره وبالتالي ايمانه وثقته في هذا الفكر تنخفض تبعا لذلك قيمة الحياة ، ويشعر الشخص بانه قد فقد ذاته ، وينخفض شعوره بقيمة نفسه فيصيبه الاحباط واليأس وهناك من يستسلم لهذا اليأس والاحباط الذي يسيطر على طاقته الداخلية (النفسية والذهنية) وتسيطر السلبية على سلوكه وهناك عدد من الافراد يكون الاحباط واليأس مؤقتا بالنسبة لهم ويشكل فيما بعد حافزا قويا من اجل البحث عن بديل فكري او تطوير الفكر السائد ٠

ان فكر الفرد وعيه يتشكل تحت تاثير فكر ووعي مجموع افراد المجتمع فالفكر السائد بين افراد المجتمع يشكل قوة ضاغطة على فكر ووعي الفرد اذا ما حاول الخروج بعض الشيء عنه ، او حتى يحاول الخروج على فئة من الافراد التي تتفق معه في الخطوط الفكرية العريضة ٠ ففكر الجماعة يقوم بدور ضابط الامن على فكر الفرد المنتمي لفكر تلك الجماعة ، فكل محاولة للتغيير تجد مقاومة من قبل الجماعة وفكرها ٠

أما الدور التاريخي للفقر والجهل في كبح حركة الفكر فهو غني عن التعريف فالفقر يمتص جميع طاقات الفرد سعيا وراء لقمة العيش ، لكي يحافظ على وجوده البيولوجي واشباع غرائزه الاولية ٠ والفقر يولد الجهل ويشكل التربة الخصبة تتغذى منه وعليه الافكار والتصورات الخرافية فيحتكم العقل اليها بدلا من المنطق وتصبح الخرافة منطق والمنطق خرافة٠

ولا يقل اهمية عن ذلك وجود خطر خارجي فيتمسك افراد المجتمع اكثر فاكثر بالفكر السائد كرد فعل دفاعي في مواجهة فكر المعتدي وتكون طاقات المجتمع موجهة للدفاع عن نفسها والتخلص من هذا الخطر ٠

حينما تعرف حجم المشكلة التي تواجهها تعرف حجم الطاقة التي يجب بذلها للتغلب عليها ، فما هي المقدمات التي تلزمنا حتى يصبح التغيير ممكنا ؟ قبل كل شيء يجب ان يكون هناك بديل فكري الذي ان وجد يزيد من الاستعداد النفسي للتغيير ، والذي بدونه لا يمكن الحديث عن التغيير

Digitized by Birzeit University Library

ولكن اين يأتي البديل وقل ما هو البديل ان اردنا ان نخلق بديل او قل ان نطور البدائل التي لدينا علينا قبل كل شيء ان نتعرف على مختلف الافكار والثقافات الانسانية لدى الامم الاخرى التي سبقتنا في هذا الميدان وهذا يلقي على عاتق المثقفين مهمة اساسية ملحة هي حركة واسعة من الترجمة التي بدونها لن يتمكن القسم الاكبر من افراد مجتمعنا التعرف على الثقافات او البدائل الفكرية الاخرى ، ولا يعني ترجمة الثقافات الاخرى انها اصبحت بدائل فكرية جاهزة ، فالعقل لا يتعامل مع الفكر الجديد بشكل ميكانيكي ،بل تمر هذه الثقافات والايديولوجيات بمراحل عدة من التمحيص والانتقاء والهضم والتغيير بما يتلائم مع متطلبات المجتمع ، فالترجمة لا تعني نسخ ميكانيكي في العقل بل تعني توفير مواد فكرية خام ممكن الاستفادة منها • والفكر اول ما يتغير يتغير في وعي الشرائح المثقفة في المجتمع ولذا خطوة اخرى مطلوبة من المثقفين هو تحطيم دكتاتورية الفكر الواحد واعادة تربية النفس على مبدأ التعددية في الآراء وهذا يعني احترام آراء الاخرين وامتلاك القدرة والصبر على سماع ارائهم انها المعضلة الاساسية عندما يكون كل فرد مقتنع ان كل جواب وتفاصيل فكره صحيحة وآراء الاخرين خاطئة مع العلم ان كل فكر يحمل صفات ذاتية وهذا يعني لا يمكن ان يكون هناك فكر كامل قدوماً في كل فكر توجد امكان ضعف او نواقص يجب التخلص منها وفي آراء الاخرين دوما توجد افكار تستطيع ان تملأ هذا النقص • ثم انه يتوجب على عدد من المثقفين التغلب على مشكلة التقيد بالنصوص المكتوبة فعلى العقل ان يميع الفكر منعكسا عن الواقع في حركته وليس عن النص المكتوب في جموده وسكونه •

ان ازمة الفكر تنشأ عندما يستنفذ هذا الفكر امكانياته فيكبح تطور المجتمع ويتخلف عن مسار الفكر العام اي يصبح اتجاه حركة الفكر معاكسا لاتجاه حركة المجتمع • ويدخل المجتمع عندئذ ازمته عندما لا يستطيع ان يجد او يطور فكره ويقف عند حدود الفكر السائد ، وكلمة ازمة تعني من جهة ان هناك خلل ما في نظام معين ومن جهة اخرى ان هناك امكانية لظهور نظام آخر اي تكون الازمة نقطة نهاية لقديم وفرصة للجديد فاذا وقف الفكر عند القديم بدأ يدور في فلك التقليد ، اما اذا استغل الفرصة المتاحة دخل طور التجديد .

اتحاد الكتاب الفلسطينيين ونصوص من الأدب الفلسطيني المحلي

صدر مؤخرا عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين كتاب جديد بعنوان " نصوص من الأدب الفلسطيني المحلي " ، يع الكتاب في ١٩٨ صفحة من القطع الكبير ، ويحتوي الكتاب على الشعر وقصص للأطفال والقصص القصيرة •

وقد جاء اختيار النصوص الأدبية في هذا الكتاب من انتاج اتحاد الكتاب الابداعي المحلي كخطوة هامة لتوثيق العلاقة ما بين المبدعين الفلسطينيين وجمهور القراء عامة ، والنماذج المقدمة في هذا الكتاب ليست الافضل بالضرورة ، لكنها على الأقل تضمن قسطا وافرا من التنوع •

هذا وقد كان الاجتهاد ان تكون هذه الأعمال المختارة دالة فنيا على المرحلة الادبية التي وصلنا اليها •

ومن اهداف هذا الكتاب القضاء على وهم الخرافة التي استمع لها كثيرا خلال العقود القليلة الماضية والتي كان مقدما ان الأدب الفلسطيني قد توقف عند بعض المبدعين •

رسائل ... لم تصل بعد للكاتب : عزت الغزاوي

صدر مؤخرا عن دار النهضة للدراسات والنشر كتاب جديد يحمل عنوان " رسائل ....لم تصل بعد "

للكاتب عزت الغزاوي ، يقع الكتاب في ١٢٣ صفحة من القطع المتوسط• وقد اهدى الكاتب هذه الرسائل الى كبش الارض وريحانة النشيد الطازج •

Digitized by Birzeit University Library

صانعو الفزع

كيف يتحول الاسلام في الغرب الى صورة عدائية جديدة

بقلم: هاينز هالم
ترجمه عن الالمانية: ابراهيم ابو مشهش

مقدمة:

ظهر في آخر استطلاع للراي العام حول ازمة الشرق الاوسط اجري في المانيا، ان ٦٩٪ من مواطني المانيا الغربية (قبل الوحدة) يؤيدون اسرائيل، بينما ١٩٪ فقط يؤيدون الفلسطينيين وحقوقهم السياسية، اما الباقي فلم يعرب عن رايه. (التلفزيون الالماني - البرنامج الاول (١٩٩١/٣/١٢).

ان هذا الامر لم يات من فراغ وله اسباب كثيرة لا مجال هنا للحديث عنها، ولكن العامل الاعلامي يلعب بدون شك دورا بالغ الاهمية، فمنذ بداية ازمة الخليج خصصت محطات التلفزيون الالمانية المختلفة مئات الساعات التلفزيونية لتقديم ندوات وبرامج وافلام خاصة عن الاسلام والعرب، وللاسف الشديد فان كثيرا من معدي هذه البرامج او المتحدثين فيها يشكلون نوعا من الاستشراق غير الجامعي يمكن تسميته استشراقا صحفيا، وهو في الغالب ينتمي من حيث منهجه المعرفي الى وجهة نظر مسيحية، واصحاب هذا الاتجاه يبالغون بتطرف في اهمية العامل الديني، ويصورون المسلمين او العرب على انهم كتلة موحدة تتحفز للانقضاض على اوروبا، واحيانا كانت الرائحة البغيضة للعنصرية تتسرب بوضوح من هذه البرامج وموادها الاعلامية المختلفة رغم الحذر التقليدي في المانيا من ذلك، ولكن من الواضح ان هذا الحذر المبالغ فيه له قرون استشعار تعمل فقط في حالة اي مساس بالسامية ولو من بعيد جدا.

وما كان يقدم في التلفزيون او ينشر في الكتب والصحف عن الاسلام كان يجد جمهورا متعطشا ليس لديه في واقع الامر - فكرة واضحة عن الاسلام او القضايا العربية عموما، خصوصا ان كلمة الاسلام تكاد تكون مرادفة لكلمة العرب في الذهن الغربي.

ان هذه المواد الاعلامية التي تقدم معرفة هي في احيان كثيرة معرفة غير دقيقة، سرعان ما تلتهم ثم تعيد انتاج ذاتها على شكل خوف غامض مما هو غريب، واحيانا على شكل عداء يثير معه توجسات كامنة تجد التعبير عن نفسها في التوجه ضد القضية العربية بشكل عام.

وفي هذا المقال الذي نشرته (صحيفة جنوب المانيا) الواسعة الانتشار والتي تصدر في ميونيخ - في ملحقها الثقافي (١٧/١٦ شباط ١٩٩١) يحاول هاينز هالم، استاذ التاريخ الاسلامي في جامعة توبنغن، ان يناقش بعض المواد التي لاقت رواجا شديدا في ظل ازمة الخليج خاصة، وان يقدم صورة اكثر موضوعية عن الاسلام للقارىء الالماني.

وترجمة هذا المقال لا تعني بالضرورة تبني ما ورد فيه من افكار، وانما القصد منها ان يطلع القارىء العربي، ولو جزئيا، على جانب من جوانب المعرفة التي تقدم عن الاسلام والعرب في دوائر الغرب الثقافية، وبالتحديد في جمهورية المانيا الاتحادية التي سيزداد - دون شك - حضورها السياسي العالمي في المستقبل المنظور. (المترجم).

Digitized by Birzeit University Library

"انهم مجبولون بشكل مختلف" يقول جيرهارد كونسلمان (١) في التلفزيون، ولكي يوضح للمشاهدين كيف ان تلافيف دماغ الانسان العربي محاصرة، فانه يرفع اصبعه الشاهد على مستوى الصدغ ويحركه على شكل دائرة بعكس عقارب الساعة: "بالنسبة لهم (اي العرب) يفكر هو (اي صدام حسين) بطريقة منطقية"...!

هل يفكر العرب بشكل مختلف، وهل هناك عقلية شرقية لا بد ان تظل مغلقة بالنسبة للغرب العقلاني؟ وهل من افرازات هذه العقلية الخاصة ان العرب يهتمون بالحفاظ على ماء وجوههم.

لقد دخلت مثل هذه الصيغ التعبيرية في استعمالنا اللغوي لاننا مستعدون للانفعالات ناتهاء، والا فهل حالة الجماهير التي تخضع لتاثيرات ايديولوجية، وتهلل لقائد معين تنتظر الخلاص على يديه، وتقبل منه ان يرسل بها الى المعركة - هي حالة غريبة جدا عن عقليتنا الخاصة؟.. وهل صحيح كذلك ان اهداف صدام حسين وافعاله هي امور غامضة تتبع - في الحقيقة - منطقا مختلفا تماما؟ اليست هذه الافعال والاهداف في منطقيتها الخالية من التدبر عقلانية، وبذلك تكون قابلة للتنفيذ او للاخذ بها من طرف اعدائه ايضا؟

ان القبول بفكرة ان هناك عقلية شرقية، عربية او اسلامية، خاصة، لا تشترك مطلقا مع العقلية الغربية، يعتبر حكما مسبقا يفتح للمنصرية ابوابا وابوابا.

لقد تم منذ الثورة الاسلامية في ايران، نشر سلسلة من المقالات في الصحف، ومقاربة عدد كبير من الشهادات، وبث عدد من البرامج والافلام التلفزيونية التهمت بشراهة من قبل الاف الشغوفين المتطلعين للمعرفة، دون ان يشعروا ان هذه المعلومات هي انصاف حقائق، او معلومات مغلوطة بالكامل، او حتى هراء محض يقدم لهم من قبل اناس غير خبيرين بشكل لا يخفى على العين المدققة.

على صفحة ٣١٨ من كتابه "محمد" يكتب كونسلمان بلهجة تلقينية بان الاسلام هو دين الشعوب ذات الوجدان الساذج، ولذلك "فان مبادىء الاعتقاد الاسلامي اسهل للاستيعاب من قبل العالم الفكري للافارقة (...) من تعاليم المسيحية".

أما ان منطق ارسطو قد ترجم منذ القرن التاسع (الميلادي) الى العربية، واستخدمه العلماء المسلمون في مجادلاتهم حول القدر، ونظرية العدالة الالهية، ومسالة قدم القرآن، وحول صفات الله - متسلحين بهذه الادوات المنطقية قبل ان تحتذي الفلسفة اللاموتوية المسيحية حذوهم بوقت طويل - فان القارىء لا يقف على شيء من ذلك.

وحرب الخليج يجب ان يحسمها الحلفاء قبل منتصف آذار كموعد نهائي - يعلن كونسلمان في التلفزيون - لان هذا الموعد يصادف بداية شهر رمضان الذي يحرم فيه القتال - ويؤكد: "هذا موجود في القرآن". ولكن هذا الامر او شبيهه لا يوجد في القرآن. وهو خطأ في كل الاحوال، ففي القرآن ورد ذكر رمضان مرة واحدة (البقرة: ١٨٥)، وسواه في هذا الموقع او في نصف دزينة اخرى من المواقع التي تحدث فيها القرآن عن الصيام، فان القرآن لم يذكر اي تحريم للقتال في رمضان ولكنه اباح في هذه الايات الافطار للمسافرين، وهذا ينطبق بالدرجة الاولى على المقاتلين في ساحات المعارك، وفي تاريخ الاسلام فان شهر الصيام لم يقطع اجراءات القتال قط.

وفي كتابه "الشيعة" (١٩٧٩) يسرد كونسلمان سير الائمة الاثني عشر، في حين ان المؤرخين اليوم لا يعرفون عن اغلب هؤلاء الائمة اكثر من مجرد تواريخ حياتهم، وحتى هذه التواريخ (تاريخ المولد وتاريخ الوفاة) فانها غير معروفة احيانا. ولكن كونسلمان يقدم فوق ذلك - وبشكل مدهش - لمحات عن حياتهم الروحية وعوالمهم الفكرية، من اين يعرف كل هذا؟! يقول انه استعمل مصدرا شيعيا من اجل الاطلاع على حياة الائمة، ولكنه على اية حال لم يذكر هذا المصدر، وهو يسرد حكايات عن اولياء ورعين ويعطيها شكلا قصصيا، اما القيمة التاريخية لمثل هذه المعلومات فتساوي صفرا.

وفي كتابه "محمد" (١٩٨٠) يتعامل كونسلمان بطريقة غير نقدية مشابهة مع روايات عن سيرة النبي. اما كتابه "الخلفاء العظام" (١٩٧٧) فهو مكون بشكل اساسي من طرائف لا قيمة لها من الوجهة التأريخية.

والان، هل يستطيع المرء ان يضع كتب كونسلمان في درج الكتاب التاريخية ذات الشعبية العالية المؤلفة من قبل كتاب غير متخصصين، وان يتناساها باعتبار انها تتحدث عن الماضي. ولكن كونسلمان يقصد من اعادة سرد سيرة النبي ان يوضح وقتنا الحاضر، فوقائع حياة محمد مثلا يجدها القارىء تحت عناوين من نوع: "غزو العالم يجب ان يبدأ" او "المسلمون يغزون الارض". وفي الصفحات الاخيرة تتضح لنا العظة التاريخية، وماذا قد غطط له محمد من امور حققها اتباعه جزئيا بعد اربعة عشر قرنا، اي اخضاع العالم لنير الاسلام. وهذا الامر قد تهيأ له الان مسلمون متعصبون، فقد قال معمر القذافي كلمته المتعجرفة: ان المسيحية يجب ان تطرد من افريقيا، والاهداف التي يجب تحقيقها من اجل اسلمة افريقيا قد تم تحديدها، والرئيس الليبي (حسب كونسلمان) لا يدع اي مجال للشك بان البابا يجب الا يختفي من افريقيا فقط، بل من اوروبا ايضا، وهو (اي القذافي) ينظر الى ايطاليا باعتبار انها

Digitized by Birzeit University Library

فرج اوروبا الطري الذي سوف ينفتح للاسلام في وقت منظور. والاجراءات الكفيلة بتحقيق ذلك يتم الاخذ بها بشكل [illegible] فلولا يجب ان تكون صقلية في يد الاسلام، وبعد ذلك سوف يكون نشر الاسلام نحو الشمال ممكنا، وهذه القناعات يعبر عنها السفير الليبي دائما، وبذلك فان افكار معمر القذافي السني تلتقي مع افكار الخميني الشيعي.

مع مثل هذه اللمحات يترك القارىء وحيدا، وتصريحات القذافي لا توضع في اطارها النسبي من خلال اي تعليق للمؤلف. اما القارىء (لكتب كونسلمان) فانه يعرف الان ما قد توجس منه دائما: منذ القرن السابع (الميلادي) فانه لاهم للاسلام سوى اخضاع العالم، والجولة النهائية من هذا الغزال قد بدات الان.

ان العرض التاريخي لصراع الاسلام الدائب ضد المسيحية - ليس فقط ضمن علاقات القرن الرابع عشر من تاريخ العالم - بل باعتبار ذلك نموذجا يصلح لتوضيح وشرح كل المشاكل ذات الطابع المركب في الشرق الاوسط - لهو تبسيط خطير.

*****

في فيلم "سيف الاسلام" الذي اعده بيتر شول - لاتور (٢) وبثه التلفزيون الالماني (البرنامج الثاني ZDF) في اربع حلقات - قدمت كذلك رسالة مشابهة مع ان ذلك تم بطريقة اقل خشونة، والفيلم يعرض صورا ذات قوة ايحائية كبيرة لا يستطيع المشاهد نسيانها بسرعة. في هذا الفيلم كانت العوامل التاريخية ماخوذة باتقان بشكل عام، ونادرا ما يصطدم المشاهد باغلاط او هنات خشنة، ومع ذلك فبعضها موجود، ومن ذلك الملاحظة التي تقول بان مسلمي وسط آسيا استطاعوا ان يحافظوا على كيانهم وان يصمدوا في وجه البولشفية بفضل مبدأ التقية (وهذا الاصطلاح الشيعي التقليدي غير معروف في البيئة الاسلامية في وسط آسيا). ومن هذه الاغلاط ايضا اعتبار عودة الخميني من منفاه في فرنسا مثل رجعة الامام الحسين.

ان اعجاب شول - لاتور بمؤسس الدين الفارسي القديم زارادشت يمكن ارجاعه الى نزعة شخصية، فمن اجل فهم التشيّع يسهم السرد الزارادشتي في الجزء الثالث من الفيلم اسهاما غير قليل. (هنا تليت مقاطع من نيتشه (هكذا تكلم زارادشت). على خلفية من موسيقى ريتشارد شتراوس بينما كانت الشمس ترتفع على ابراج الصمت الفارسية).

ان شول - لاتور يستخدم ديكورات ماخوذة من مراحل تاريخية مختلفة، فقط من اجل الايهام بالفرضية ناتهاء، دائما يحتدم التدفق الاسلامي بشكل خطير على شواطىء الغرب. وخطر الفيضان الاسلامي لا يزال قائما اليوم. وشول - لاتور يتضرع الى منقذي الغرب منذ شارل مارتل حتى ايفان الرهيب قاهر التتار. بل ان التمثال العظيم لربة النصر في ستالينغراد "لو يوجه سيفه نحو الغرب، بل نحو الشرق، باتجاه براري التتار". وللتاكيد يقتبس شول - لاتور قولا لشخص يقدسه هو الجنرال ديغول: "في يوم من الايام سوف يدرك الروس انهم من الجنس الابيض". ويضيف هو شخصيا: "وانهم مسيحيون ايضا". وان الولادة الثانية لروسيا المقدسة قد جاءت في وقتها الصحيح تماما، ففي الخارج يتربص المتعصبون الاسلاميون، في السابق كان هناك الخليفة الفاطمي المهووس الحاكم، وشيخ الجبل مع سفاحيه (٣)، القيصر المغولي الرهيب تيمور لنك، التتر والبربر، اما اليوم فورثتهم: الخميني الذي لا يعرف الرحمة، وحكمتيار العبوس.

"اليوم سيوجد في الشرق اله للحرب ينتمي الى عهود سحيقة". - "لا يزال تمثال ماريا يحرس ميناء مرسيليا". وفي الحال يظهر (على الشاشة) تمثال مادونا المذهب لمرتين متواليتين. والمخاوف تساور شول - لاتور من انعزالية جديدة للولايات المتحدة، فهل سيتمكن الاوروبيون من الوقوف في وجه فلول التتار؟!..

ان هذه البرامج ذات تاثير سريع فائق، فالكتاب المرافق لهذا البرنامج (المقصود كتاب "سيف الاسلام" لشول لاتور ايضا -م-) نفذ من الاسواق في وقت قصير. كما ان كتب كونسلمان التي تكثر على العدد بحيث يتساءل المرء متى تسنى له فقط ان يكتبها - تختفي من الاسواق بسرعة كالعك الساخن.

ان التاثيرات خطيرة، لانه لا يتم تقديم صورة غير محددة لامر ذي تركيب وتعقيد شديدين فحسب، بل يجري على الجدار رسم صورة عدائية جديدة هناك حاجة واضحة اليها بعد انتهاء الحرب الباردة: القوزاق يترجلون (عن خيولهم) ولكن هناك ابعد قليلا الى الشرق فان التتار يحكمون شد احزمة سروجهم. الانطباع يثار دائما وكأن الاسلام في طول الارض وعرضها يتم دفعه بارادة موحدة نحو هدف واحد، وهذا الهدف مثلما كان دائما هو اخضاع الغرب المسيحي، مخاوف عميقة يتم اثارتها، ردود فعل دفاعية ضد ما هو غريب فالاخطار لا مهرب منها.

*****

ان اسلاما موحدا (متجانسا) لم يوجد ايضا في الماضي، فبعد وفاة النبي محمد سنة ٦٣٢م بوقت قصير، تتوزع الاسلام في عدد كبير من المذاهب، والطوائف، والمدارس الفقهية التي استمرت حتى وقتنا الحاضر، فالى جانب اسلام الفقهاء وعلماء الدين الاتباميين، هناك اسلام المتصوفة وعدد كبير من فرق الدراويش، كما ان هناك تاثيرات شعبية محلية طبعت الاسلام بطابعها، والى جانب الفرق التي تنزع الى

Digitized by Birzeit University Library

العنف والكفاح المسلح توجد التيارات ذات النزعات السلمية والطابع المتصوف الهادىء، وهذه لم يشر اليها، وبدلا منها عرضت فقط الفئات المضطربة حماسا، والجموع التي تساق بالسياط، والقبضات المشدودة، والهتافات الموقعة.. فقط ما هو ذو تاثير اعلامي.

بين هذه البرامج كان هناك استثناء يبعث على السرور، على الرغم من عنوانه التجاري، وهو فيلم "الجهاد - او الحرب المقدسة" لاحمد طاهر (٤) الذي بثه التلفزيون (برنامج WRD) حيث قدمت صورة محددة الى حد بعيد.

والدّين الذي يبقى - قبل كل شيء - للجمهور في ذمة مؤلاء المستشرقين غير المتخصصين، هو تاميلهم لمعلومات تتعلق بظاهرة وجود المصطلح "الاصولية" (Fundamentalismas) هذه الكلمة التي كان من الافضل تجنبها. والاصولي هو الاسم الذي اطلقه الملاموتيون الامريكان المتمسكون بنص الكتاب المقدس في مقابل صورة العالم المستمدة من العلوم الطبيعية، وبالدرجة الاولى ضد نظرية داروين عن النشوء والارتقاء، وبيانهم "الامل - بيان للحقيقة" الذي نشروه في اثني عشر مجلدا بين عامي (١٩٠١ - ١٩١٢) اعطى لهذا المصطلح اتجاهه.

الاسلام لا يواجه اي نوع من المشاكل في مقابل صورة العالم المستمدة من العلوم الطبيعية، فالقرآن لا يعرف قمة خلق قابلة للمقارنة بمثيلتها في التوراة وكذلك فان مصطلح "الايمان الحرفي" بالمعنى السطحي لا يكاد يستعمل الا نادرا، واقل ما يكون ذلك عند الملل وآيات الله (رجال الدين) الشيعة، الذين باتباعهم مبدأ الاجتهاد استعانة بالعقل يجب تسميتهم بانهم "لا - اصوليون" فقد نحوا الشيعة الاصوليين (الاخباريين) جانبا منذ القرن السابق.

وكذلك فان مصطلح "اعادة الأسلمة" هو ايضا مصطلح مضلل، لانه يوهم بعودة شيء كان موجودا، باعادة الحياة لاسلام العصور الوسطى. ولكن في الحقيقة فان هذا المصطلح يتعلق بامر جديد تماما، بظاهرة من ظواهر المعاصرة، بامر يحمل في طياته كل علامات الحداثة، حتى لو كان ذلك غير مرئي للوهلة الاولى، بل قد يكون دعاة هذه الجماعات ووعاظها انفسهم غير واعين لذلك بعد.

ربما ينبغي علينا ان نستخدم في حديثنا مصطلح "اسلامية" بدلا من "اسلام" لكي نوضح اكثر ان الامر يتعلق بايديولوجيا، وبالتحديد بايديولوجيات من نوع جديد، وكذلك ففي اللغة العربية لا يتحدث المرء في هذا السياق عن مسلمين، بل عن "اسلاميين".

وهذه الحركات الاسلامية الجديدة تشكل خطا عريضا من التيارات والاحزاب والاتحادات التي لا يجمعها في اي حال من الاحوال من حيث اهدافها ومناهجها قاسم مشترك. وقبل كل شيء فعلى المرء الا يخلط بينها وبين الاسلام التقليدي لمرحلة ما قبل الكولونيالية.

في فرنسا حيث الادبيات المتخصصة بالاسلام والشرق الاوسط تحظى تقليديا بجمهور اوسع منها في المانيا، فاننا لا نجد اية صحيفة جادة او برنامج يسمح لاغراز من غير المتخصصين ان يتخذلقوا حول الاسلام، وظاهرة الاسلمة تناقش هناك منذ وقت طويل وهنا نشير الى دراستين للمستشرق الباريسي "غيليه كيبل" خصصهما للحركات الاسلامية في مصر وفرنسا، بعنوان "النبي والفرعون" (١٩٨٤) و "شواطىء الاسلام" (١٩٨٧) وقد طبعت هاتان الدراستان ووزعتا على شكل ملازم.

و (اليفر روي) كرس لـ "سوء الفهم الكبير" هذا (حول الاسلام) سلسلة كاملة من المقالات. وفي الادب الانجلو - سكسوني نشير الى مجلد "الاندفاع الاسلامي" (لندن ١٩٨٧) الذي اعدته (باربارة فراير ستوفاسر)، وكذلك فان القارىء الالماني يجد معلومات موضوعية في المجلد الذي نشره (فرنر انده) و (اودو شتاينباخ) بعنوان "الاسلام في الوقت الحاضر" (١٩٨٤).

عند تقييم الحركات الاسلامية يجب على المرء ان يستثني الثورة الاسلامية في ايران، لان الدور التاريخي السياسي المتنامي لرجال الدين الشيعة لا يجد له موازيا في الوسط الاسلامي السني، وثورة الخميني لم تكن قابلة للتصدير. والجماعات الاسلامية في البلاد العربية، ولكن بشكل أخص في المهاجر (الاوروبية والامريكية) لم تؤسس وتنتشر من قبل علماء دين، وانما من اشخاص غير علماء، معرفتهم بالمأثورات الدينية والتقاليد الاسلامية ونظام الحياة في السنة والشريعة معرفة متخلفة، اما الايديولوجيون والمتكلمون باسم هذه الحركات فهم غالبا من المثقفين والتقنيين والمهندسين، في حين يشك الطلاب اتباع هذه الحركات بتاثر متزايدة.

والاسلام الاصلي الصافي الذي تقصد جميع هذه الحركات الى اعادة تكوينه ماخوذ غالبا بتبسيط شديد يشبه تبسيط الذي ينقش على الخشب، فأجزاء المأثورات يجري دمجها بتصورات عصرية جدا، ومن هذه الملامح النمطية للمعاصرة العقلانية التي بواسطتها يتم شرح المأثورات الدينية، ومن ذلك تقريبا الحجج الطبية والصحية التي تساق لتعليل طقوس الوضوء والختان او تحريم بعض انواع الاطعمة، وكذلك فان اشكال التنظيم هي اشكال حديثة، فاغلب الفرق هي اتحادات او احزاب منظمة ذات ايديولجية خاصة، ولها برامج وهيئات.

ان السبب الرئيسي في ظهور هذه

Digitized by Birzeit University Library

الايديولوجيات الاسلامية هو الاصطدام بمجتمعات عصرية جدا، ذات تحديد وتعددية وتصنيع من مستويات مرتفعة، وهذه المواجهة اخذت باعتبارها صدمة واستدعت معها قوى دفاعية عنيفة، والقوى الدفاعية هذه ليس موجهة ضد الاسس العلمية والتقنية للحضارة الحديثة، بل ضد لواحقها وظواهرها المرافقة التي يساء عادة فهم وجودها، مثل: الاستخفاف بالدين، الحرية الجنسية، الادب الداعر، تعاطي المخدرات.. وعلاوة على ذلك تتضاف الخبرة المؤلمة بان جميع محاولات الانظمة السياسية في الشرق الاوسط لتوصيل بلدانها الى احراز مكاسب وانتصارات، او رفع مستوى الحياة فيها الى مثيلها في دول اوروبا او امريكا قد انتهت الى الاخفاق. ومثل هذه الجهود رؤيت باعتبارها تضليلا، كل ذلك، الى جانب حالة العوز المتزايد، دفع افواجا متزايدة من الناس، وخاصة في المراكز السكانية العظمى التي تنمو بشكل يصعب تصوره مثل القاهرة واسطانبول والجزائر - الى رؤية ان تجديد الاسلام هو الانقاذ الوحيد.

•••••

لا يمكن باية حال من الاحوال القول بان جميع الحركات الاسلامية هي حركات ثورية بله عنيفة، ان بعض هذه الحركات يتطلع الى ان يكون له تاثير سياسي، ويسعى الى المشاركة في السلطة مثل منظمة "الاخوان المسلمون" التي اسست في مصر عام (١٩٢٨) وتشكل اليوم معارضة للانظمة العلمانية في مصر وسوريا. وتتمتع بنفوذ قوي في السودان، وشبيه بذلك ينطبق على حركة "المجتمع الاسلامي" (جماعت اسلامي) التي اسست سنة ١٩٤١ في باكستان والتي جاء من صفوفها الرئيس ضياء الحق. وفي الباكستان كما في السودان استطاع الاسلاميون الوصول الى السلطة لفترة من الزمن بهدف محاولة الوصول بشكل جاد الى تاسيس دولة اسلامية، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك حتى الان.

والى جانب ذلك فهناك جماعات صغيرة تلجأ الى العنف، وتنتهج الكفاح المسلح وتمارس الاغتيال السياسي، مثل فرقة "التكفير والهجرة" التي تمارس نشاطها منذ عام (١٩٧٣) وتدعو الى درء المجتمع الذي تعتبر انه مارق من الدين، وكذلك فهناك تيارات اسلامية ملحوظة على حافة منظمة التحرير الفلسطينية التي انتهجت حتى الان خطا علمانيا قوميا.

وعلى العكس من كل ذلك، فهناك اكبر هذه الجماعات واقلها شهرة في الوقت نفسه، وهي "جماعة التبليغ والدعوة" التي اسسها في مطلع هذا القرن رجل هندي، ويدعمها الان الريال السعودي، وتنتشر في جميع انحاء العالم، وفي فرنسا بشكل خاص فان لها نشاطا ملحوظا، وهي تنتهج اسلوبا ذا روحية سلمية قوية، وتسعى بالدرجة الاولى في بيئات غير اسلامية، وبالذات في المهاجر (الاوروبية والامريكية) الى انشاء مجال حر يسمح للمسلمين بممارسة حياة مطابقة لقناعاتهم الدينية.

وفي المانيا فان الجماعتان التركيتان (سليمانليلار) و (نورجولار) لهما نشاط ملحوظ بشكل خاص، وقد تاسست هاتان الفرقتان في الاساس من اجل التصدي للمجتمع العلماني الذي دعا اليه كمال اتاتورك.

•••••

ان المشاكل غير المحلولة في الشرق الاوسط، القضية الفلسطينية، ومشكلة الخليج، ولكن بشكل اساسي الحالة المتفاقمة للعوز الاقتصادي تهيء للجماعات الاسلامية اقبالا قويا، وهذه الجماعات - بلا ريب - هي في وضع يسمح لها باسقاط واحد او اكثر من انظمة الحكم في الشرق الاوسط، ومن المتوقع ان تكون التنظيمات الاسلامية الواسعة هي نمط السلطة المستقبلي في الشرق الاوسط الذي سيحل محل انظمة تعرف بانها علمانية او البيروقراطيات العسكرية احادية الحزب ذات الصبغة الاشتراكية.

وفي الشرق الاوسط يعبر الحراك الطبقي دائما عن نفسه من خلال اشكال سياسية ذات نوع جديد، وابنما تسنى في المستقبل لهذه الحركات الاسلامية الوصول الى السلطة ، فانها ايضا سوف تواجه المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستعصية ذاتها، وسيكون مثلها في ذلك مثل الانظمة العلمانية السابقة، وواجبات الحكم اليومية سوف تجلب معها سريعا خيبات الامل، مثلما حدث في ايران، اذ يمكن لمس ذلك الان بوضوح.

•••••

ان هدف جميع هذه الجماعات مع جميع الاختلافات بينها في الايديولوجيا والمناهج هو الوصول الى تكوين مجتمعها الخاص على المثال الاسلامي الاصلي بصرف النظر عن المستوى المتوقع لمث لهذا المجتمع، ولكن ليس هدفها باي حال من الاحوال اخضاع الغرب المسيحي، وتحذيرات وعاظنا الصليبيين الجدد من اخطار التتر هو من قبيل الاثارة اللامسئولة للفزع، فالقيصر المغولي الرهيب تيمور لنك لا يرابط على ابواب المدينة.

الايديولوجيات الاسلامية ستكون حقيقة ذات السيطرة على شكل التنظيمات الاسلامية في مطلع القرن الحادي والعشرين وعلينا ان نعد انفسنا لذلك، ولوجود مسلمين بين ظهرانينا، ولكن المشاعر المقنعة، الموجهة ضد الحداثة، التي تحتوي عليها هذه الحركات سوف تعمل سريعا على اضعافها وسيكون ذلك اسرع اذا تم ايجاد تسوية سلمية عادلة في الشرق الاوسط لا

Digitized by Birzeit University Library

يشعر العرب والمسلمون انها فرضت عليهم بالقوة من الخارج.

وهذه المخاوف التي شاعت عندنا (في المانيا) عن الخطر الاسلامي الذي لا يمكن مواجهته، والمزعوم بانه يهدد حضارتنا، هي الصورة المقابلة لمخاوف كثير من المسلمين عن رعب قادم من العالم الغربي، ونحن يجب الا نسمح لمتحمسين من هذه الجهة ان يتخذوا متحمسي تلك الجهة وسيلة للعب. اننا في حاجة الى معلومات حصيفة وليس الى الهمس عن اله للحرب ينتمي الى عهود سحيقة.

*****

ملاحظات:

١. جيرهارد كونسلمان Gerhard Konzelmann ولد في شتوتغارت سنة ١٩٢٣ ودرس في جامعة توبنغن، بدأ العمل ١٩٥٧ مراسلا للتلفزيون الالماني، وبين ١٩٦٨ - ١٩٨٥ عمل مراسلا من البلاد العربية، له عدا الكتب المذكورة في متن المقال: النيل - نهر مقدس تحت زوركي الشمس، الصليب والهلال (١٩٨٣) الحرب غير المقدسة (١٩٨٥) و أمبراطورية الله الجديدة (١٩٨٦) و القدس: اربعة الاف عام من الصراع على مدينة مقدسة (١٩٨٧).

وكتبه تطبع في طبعات مختلفة في الوقت نفسه،وتنفذ منها الاف النسخ سريعا على الرغم من احتشادها بالالفاظ العلمية والموضوعية، علاوة على ان كونسلمان لا يعرف العربية ويعتمد في كتاباته على مراجع اوروبية ثانوية، وكتابه (القدس) على سبيل المثال يعتمد بشكل اساسي على مصادر اسرائيلية مترجمة الى الالمانية، وفي اثناء ازمة الخليج ظهر كونسلمان في عشرات البرامج التلفزيونية بوصفه خبيرا في شؤون الاسلام والشرق الاوسط، واتيح له الترويج بشكل واسع لارائه حول "العقلية العربية او الاسلامية الخاصة". (المترجم).

٢. بيتر شول - لاتور Peter Sholl - latour ولد في بوخوم سنة ١٩٢٤ ودرس في جامعات ماينز وباريس وبيروت، بدأ العمل في الصحافة منذ سنة ١٩٥٠، وبين سنتي ١٩٦٠ - ١٩٦٢ عمل مراسلا للتلفزيون الالماني من شمال افريقيا، له عدا كتاب "سيف الاسلام" الوارد ذكره، كتاب: ان الله مع الصابرين - مواجهات مع الثورة الاسلامية. وهو مكون بشكل اساسي من تقارير صحفية عن البلاد الاسلامية من الجزائر حتى ماليزيا.

في اثناء حرب الخليج كان يقدم للتلفزيون الالماني تقارير من الاردن، وهو يعتبر في المانيا عارفا بالشؤون العربية والاسلامية ولكنه ينتمي في اتجاهه الى المدرسة الاستشراقية التقليدية ذا الخلفية المسيحية. وفي تحليلاته التلفزيونية كان هناك تجاهل واضح للعوامل السياسية والاقتصادية التي تؤثر على المنطقة ومحاولة لارجاع كل التفجرات في المنطقة العربية والاسلامية الى عوامل دينية او ايثولوجية، وفي المقابلات والندوات التلفزيونية العديدة حول ازمة الخليج، كان شول - لاتور يروج بحماس بالغ لسياسة امريكا ضد العراق. (المترجم).

٣. المقصود هنا "سنان راشد الدين" شيخ الجبل في مصياف، وكان قائدا لفرقة الفداوية احدى الاجنحة العسكرية للاسماعيلية التي اشتهرت من خلال المصادر الاوروبية باسم فرقة الحشاشين، وقد راج هذا الاسم من خلال كتابات لويس برنار عن الاسماعيلية. وفي المصادر الغربية يرمز شيخ الجبل الى الشر والارهاب واحتراف القتل، لان فرقة الفداوية اشتهرت بغاراتها العنيفة على مواقع الصليبيين في الساحل الشامي في اثناء الغزو الصليبي للمنطقة. (المترجم).

٤. احمد طاهر: باحث ايراني في شؤون الاسلام يعمل في جمهورية المانيا الاتحادية. (المترجم).

دراسة نقدية
عن الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة

للدكتور سمير شحادة

صدر مؤخرا عن دار العودة للدراسات والنشر القدس دراسة نقدية " عن الرسالة السياسية في شعر الانتفاضة " للدكتور سمير شحادة التميمي، حيث تقع الدراسة في ١٢٣ صفحة من القطع المتوسط.

اهدى الدكتور سمير هذه الدراسة الى كل فرسان الانتفاضة، شهداء وجرحى، اسرى ومعتقلين ومطاردين، الى كل الكتاب والشعراء صدر للمؤلف: حسان فلسطين، سليم ابو الأقبال اليعقوبي (حياته وشعره)، مجموعة قصصية بعنوان الخروج من الدائرة، هذا بالاضافة الى دراسات نقدية في القصة الفلسطينية القصيرة.

المتوكل طه في:

دراسات في الادب واللغة

اهدانا الكاتب المتوكل طه كتابا يحمل عنوان " دراسات في الأدب واللغة "، حيث صدر مؤخرا عن مجلة مع الناس، يقع في ١٦٥ صفحة من القطع الكبير.

وقد اهدى الكاتب هذه الدراسة الى القادم الذي سيحمل عنه ميراث ابيه السجن والقصيدة.

الجدير بالذكر ان هذه الدراسة تتكلم عن الانسان، الشعر، المسرح واللغة.

Digitized by Birzeit University Library

قائمة بأسماء شهداء الشهر السابع والاربعين للانتفاضة

انهت الانتفاضة الفلسطينية شهرها السابع والاربعين وبدأت الشهر الثامن والاربعين وسط تحركات سياسية متسارعة ، توجت في مؤتمر مدريد للسلام ، والحديث اليوم يدور عن عملية اجراء مفاوضات ثنائية بين الوفود العربية والوفد الاسرائيلي . وخلال الشهر الماضي سقط (١٧) شهيدا . وبذلك يصل عدد شهداء الانتفاضة الى (١١٣٣) شهيدا . وفيما يلي قائمة باسماء شهداء الشهر الماضي :-

الأربعاء ١٩٩١/١٠/٢

- حسين زايد محمود ابو زايد بيتونيا / رام الله . عثر على جثته قرب قرية مخماس وسلب منه حوالي ٧٥٠٠ دينار .

الجمعة ١٩٩١/١٠/٤

- أحمد داود خلف (٢٤ عاما) مخيم البريج / قطاع غزة . اختطف على ايدي ٣ ملثمين يوم ١٠/٢ ، وعثر على جثته صباح هذا اليوم . أعلنت اللجان الشعبية في المخيم انه شهيد ، ونفت مصادر عسكرية ان يكون لها ضلع في اختطافه .

الأحد ١٩٩١/١٠/٦

- بشير سليم الهندي (١٠ سنوات) مخيم الشاطىء / قطاع غزة . اصيب بعيار ناري في الرأس .
- خالد حسن ريان (٢٦ عاما) مخيم بلاطة / نابلس . اصيب بعيار ناري في صدره لدى محاولة اعتقاله لانه كان مطلوبا للسلطات .

الأثنين ١٩٩١/١٠/٧

- عماد عمران عتيق (٢٥ عاما) برقين / جنين . اصيب برصاص وحدة اسرائيلية . ذكرت مصادر عسكرية انه كان مطلوبا منذ فترة طويلة .

الأربعاء ١٩٩١/١٠/٩

- عيسى خليل عيسى صلاح (١٨ عاما) الخضر / بيت لحم . عيارات نارية اثناء كتابته شعارات وطنية
- داود سليمان ابراهيم ابو كلوب (٣٧ عاما) مخيم الشاطىء / قطاع غزة . اصيب بعيار ناري اطلقه الجنود عليه بالخطأ كما ذكرت المصادر العسكرية .

الأثنين ١٩٩١/١٠/١٤

- حسان عمر الصانع (١٦ عاما) نابلس .

الخميس ١٩٩١/١٠/١٧

- عبد المجيد حسين حامد (٢٨ عاما) سلواد . متأثرا بجراح أصيب بها قبل ٨ اشهر .

الأثنين ١٩٩١/١٠/٢١

- عامر أحمد عبد القادر بللو ثوابته (٢٦ عاما) بيت فجار / بيت لحم . اثر انفجار عبوة كان يحضرها .

الثلاثاء ١٩٩١/١٠/٢٢

- جاسر احمد سعد ابو ارميلة (٤٠ عاما) مخيم طولكرم . اثر نوبة قلبية في سجن جنيد ، محكوم لمدة ٢٧ شهر ، وكان قد اطلق سراحه ضمن عملية تبادل الاسرى سنة ١٩٨٥ .
- محمد شاكر الفولة (٤٠ عاما) دير البلح / قطاع غزة .

الثلاثاء ١٩٩١/١٠/٢٩

- محمد غالب الرجبي (١٦ عاما) الخليل . أصيب بعيارات نارية في انبناء تشاربت عن مصدر اطلاقها ، بينما تقول الانباء ان افراد وحدة خاصة كانوا يركبون سيارة مدنية، يقول الناطق العسكري ان وحدة من الجيش هي التي اطلقت النيران وهو يكتب الشعارات .
- محمد أحمد ابومغصيب (٧ سنوات) حي وادي السلطان - القرارة / خانيونس / قطاع غزة صدمته سيارة تقل جنودا .

الأربعاء ١٩٩١/١٠/٣٠

- سفيان منصور ناصر الدين (٢٠ عاما) الخليل ، اصيب بعيارات نارية في بطنه .

الخميس ١٩٩١/١٠/٣١

- غسان محمد علي لطيفي (١٧ عاما) عورتا / نابلس . برصاص الجيش .

الثلاثاء ١٩٩١/١١/٥

- مهدي محمود حسين ابو الحسن (٢١ عاما) جنين . استشهد في عراية في اشتباك مسلح مع دورية عسكرية . وكان الشهيد مطلوبا للسلطات منذ عامين .

وأسرة تحرير مجلة «الكاتب» اذ تنحني اجلالا للشهداء البررة، تتقدم من شعبنا الفلسطيني واهل الشهداء بخالص العزاء.

Digitized by Birzeit University Library

الفنانون الفلسطينيون و التكاثر الانشطاري

قاسم منصور

لقد ترددت كثيرا في كتابة هذا المقال لأن خوفا من كتابته بل انتظارا لأن يجيب على اسئلتي التي وددت الأجابة عليها من أي من المعنيين في الأجابة - وبالرغم من أثارة موضوع المقالة هذه مع اكثر من فنان واستعداده للرد وتوضيح ما يجري الا ان ايا منهم لم يف بما استعد لعمله .. عندها وعندها فقط قررت ان أفتح هذا الملف منطلقا في كتابة فصوله من رؤيتي الذاتية التي قد أصيب بها وقد أخطىء ، ولكنها وجهة نظر وجدت ضرورة لطرحها علها تستفز اولي الامر فيحاولون الرد او التوضيح . وملاحظة اخرى وجدت ضرورة ابدائها هي انني اكن الاحترام لكل الفنانين على فنهم بغض النظر عن مواقفهم ونهجهم . وان ما وددت ان اطرحه في هذا المقال هو تسليط الضوء على و ضع الحركة التشكيلية الفلسطينية كما هو بايجابياته وسلبياته .

ظاهرة الجماعات ..والتكاثر الانشطاري :

لا شك بان هناك عدة اشكال للتكاثر البيئي بين المخلوقات ولئن كنا كبشر نتكاثر بالتوالد فان كثيرا من المخلوقات تتكاثر بالانقسام او الانشطار فينقسم المخلوق الى اثنين متشابهين الصفات ومكذا دواليك .. وانني اول ما خطر ببالي حول ظاهرة الجماعات " المنشقة " و" المنفصلة " و" المتصلة " داخل الحركة التشكيلية انها شكل من اشكال التكاثر الانشطاري الذي يعد طبيعيا في اشكال التكاثر البيئي . ولكن ما لفت نظري هو شكل العلاقة القائم بين هذه " الجماعات " . حيث تجد بعضها يتعامل باسلوب تناحري والبعض الآخر توفيقي والبعض تكاملي بالرغم من ان العلاقة الذاتية والحركة داخل الشكل الواحد " الجماعة الواحدة " فيه نوع من التناغم والأنسجام. ان الظاهرة بجلها لتشبه فرزا ميكانيكيا لمجموعة من المواد المختلفة بحيث يتم توزيع الكومة الى مجموعة من الكومات المتشابهة التركيب بغض النظر عن نوعية هذا التشابه فمنها من تتشابه في لونها ، ومنها ما تتشابه في ممارستها ونهجها ومنها ما تشابهت في احتجاجها ومعاناتها . ولكنها ظاهرة افرزت كما قلتها اشكال جديدة لمجموعات تنسجم لذاتها وقد تصل الى حد التناحر مع غيرها . ولئن كانت هذه الظاهرة تحمل في طياتها . مخاطر تشرذم الحركة التشكيلية الا انها تخلق نوعا من الحركة والنشاط المرغوبين في ظل مبدأ المنافسة المطلوب .

ان هذه الظاهرة - الجماعات - كانت فرزا طبيعيا لواقع الحركة التشكيلية وامتدادا لهذا الواقع المرتد الى اكثر من عقد من الزمن . وقد واجهت الحركة التشكيلية اشكاليات الانقسام والتشرذم عدة مرات خلال فترة نشاطها الحديث . وكلنا نذكر انشقاق الرابطة الى رابطتين فترة الثمانيات ووجود اتحاد الفنانين الفلسطينيين . وتجمع فناني غزة . وكل هذه الظواهر كان يتم معالجتها من خلال الشكل ولم يتعدى العلاج الى المحتوى والأسباب والظروف التي أدت الى هذه الظواهر . ولذلك وجدنا وبعد اعلان الوحدة من جديد لظروف ولأسباب سياسية ان هذه الوحدة كانت قرارا سياسياً لم يَرْقَ الى المستوى المطلوب في معالجة بعض الظواهر التي تعود لتبرز من جديد وتؤدي الى اعادة التفريخ

Digitized by Birzeit University Library

والانشطار والتي أرى محاولة اعادة جمعها تعتمد نفس الأساليب والمفاهيم السابقة ، ان ظاهرة الصراع داخل الحركة التشكيلية وان كانت تأخذ الطابع الشخصي ، في بعض الأحيان ، الا ان لها أسبابها الموضوعية الأخرى التي تحتاج للحديث عنها بصراحة وبصدق من كل المعنيين من خلال مواجهة مسؤولة تثير فيها كافة الملاحظات والاستفسارات وتضع الأجوبة والمبررات من قبل المسؤولين ، ولئن كنت لا اود التطرق لهذه الملاحظات والاستفسارات هنا فهو لأن لكل من هذه الجماعات ملاحظاتها واستفساراتها التي أمل ان تطرحها لتضع المبررات التي دفعتها لتشكيل جماعتها .

الجماعات .. ما هي .. ومن هي ؟

١- جماعة " التجريب والأبداع " :

وهي مجموعة من الفنانين المبدعين تتكون من اربعة اعضاء - " غير قابلة للتكاثر " وهم الفنانون سليمان منصور - رئيس الرابطة - ، فيرا تماري ، نبيل عناني ، تيسير بركات . ولئن كانت هذه الجماعة تضم نخبة من الفنانين المعروفين داخل الحركة التشكيلية . ولها نشاطاتها وأعمالها المميزة ، الا أن ما يؤخذ على هذه الجماعة انطوائها على نفسها وعدم محاولة اضافة عدد من الفنانين اليها الأمر الذي يعطي انطباعا بنظرة نخبوية فوقية الى بقية الزملاء الفنانين مما يثير استياء هذه البقية . وكذلك يؤخذ عليهم كونهم اعضاء متنفذين ومسؤولين في الرابطة - معظمهم اعضاء هيئة ادارية في الرابطة - الأمر الذي يجعل منهم هدفا للهجوم من بقية الزملاء حول كافة الممارسات والمظاهر السلبية داخل الرابطة ولا نعرف تبريرهم لايجاد جماعتهم - التجريب والأبداع - في الوقت الذي يجلسون فيه على كرسي المسؤولية عن الحركة التشكيلية بأجمعها .

٢- جماعة ناجي العلي :

تشكلت هذه الجماعة بعد انتخابات الرابطة الأخيرة من مجموعة من الفنانين التشكيليين الذي رفضوا تركيبة الهيئة الأدارية المفرزة من خلال هذه الأنتخابات . والذين وجهوا الى الهيئة الأدارية الجديدة والتي بأغلبها من الهيئة الأدارية القديمة تهمة التقصيرات والممارسات الخاطئة بالأضافة الى الكثير من الأتهامات الشخصية والاستئثار بكافة الامكانيات والأمتيازات المتاحة لصالح قلة من الأعضاء وأعمال المجموع . ويقف على راس هذه الجماعة مجموعة من الفنانين المبدعين أمثال الفنان كريم دباج وعوض ابو عرمانة ، وابراهيم سابا وغيرهم .

من الملاحظ ان هذه الجماعة استطاعت ان تثبت نفسها خلال فترة وجيزة من خلال نشاطها ومثابرتها على العمل وايجاد البرامج ذات الصدى الجماهيري مثل الدورات التدريبية للأطفال وغيرها . وكذلك استطاعت جماعة - ناجي العلي - ان تستقطب عددا كبيرا من الفنانين الناشئين والمحتجين على الأعمال الممارس ضدهم داخل الرابطة ، ولئن بدأت هذه الجماعة مرتبطة بالرابطة الأم الا انه سرعان ما حدث الطلاق البائن بينها وبين الرابطة وأصبحت تعمل منفصلة عن نشاطات الرابطة برمتها . ان المأخذ الرئيسي الذي يؤخذ على جماعة ناجي العلي هو تغليب الصراع داخل الحركة التشكيلية على التعاون مع حق الأختلاف . ان هذا التشنج في التعامل مع بقية اطراف الحركة التشكيلية عامل مساعد على تشرذم رابطة التشكيليين والأستمرار في النهج التناحري القائم .

٣- جماعة (يبوس) : -

ظهرت هذه الجماعة منذ فترة وجيزة من مجموعة من الفنانين بعضهم كان على رأس هرم المسؤولين في الرابطة - عدنان الزبيدي - عضو الهيئة الأدارية للرابطة . والبعض الآخر كان ضمن قائمة المحتجين على الرابطة وتشكيلتها - الفنان خليل ابو عرفة - وبينهما مجموعة من الفنانين الذين كانوا بين هذين الموقفين - فاتن طوباسي - نادر الحذوة - وجورج نسطاس - وغيرهم . ان ما يميز هذه الجماعة ان تشكيلها جاء وفق اعتبارات تختلف عن اعتبارات الجماعات الأخرى حيث يطغى على تركيبة هذه الجماعة معيار اللون الواحد . وقد أعلنت هذه الجماعة عن نفسها من خلال معرض لأعضائها جذب أنتباه المهتمين في عدد من الأعمال المعروضة ... ويبقى السؤال المطروح أمامهم من قبل الجمهور التعرف على الأسباب الحقيقية لتشكيل هذه الجماعة .

ما تبقى لكم :-

ان نظرة سريعة الى رابطة التشكيليين الفلسطينيين بعد فرز هذه الجماعات الرئيسية الثلاثة فان نتيجة طرح الأسماء المكونة لها من مجموع اعضاء الرابطة يساوي صفر تقريبا . الا اذا اضفنا اليهم مجموعة من الفنانين الذين لا حول لهم ولا قوة الا قبول واقع خيارهم وانتمائهم الى هذه الأم المفروضة عليهم . ان هذا الوضع يستوجب طرح سؤال حول جدوى بقاء هذا الشكل من العلاقة اذا كانت اشكال الجماعات هي الطاغية . مع الأقرار بان الوضع القائم لا يمثل ظاهرة صحية الا اذا كانت هذه

Digitized by Birzeit University Library

الجماعات تشكل داعما ورافدا للرابطة الأم ٠ وحتى نصل الى هذا المطلوب فاننا بأمس الحاجة الى وقوف الجميع أمام مسؤوليتهم ٠٠٠ والأعتبار الاول امامهم ان كل الاشكال المطروحة لا تمثل بديلا ولا يجب ان تمثل بديلا لأطار يجمع كافة الفنانين يأخذ بالاعتبار خصوصية واقعنا وضروراته الملحة ويعتمد نهجا ديمقراطيا في التعامل بين الفنانين راصدا حاجاتهم ومعبرا عن آمالهم ٠٠٠ هذا هو البديل لهذا الواقع والا فان سفينة نوح غارقة لا محالة ٠٠ وان الطوفان آت ٠

انها لمجرد محاولة لفتح ملف من ملفات ازمة حركتنا الثقافية التي بحاجة لفتح ملفات اخرى ٠ آملا من المعنيين استكمال الحوار في هذا الملف ليس من باب الترف وانما من باب فتح المجال لايجاد الصيغ المناسبة للبحث في شفاء حركتنا الثقافية عامة والتشكيلية خاصة ٠

*****

المركز الثقافي الفرنسي يقيم معرضا تشكيليا لفنانين فرنسيين

بادرة حسنة قام بها المركز الثقافي الفرنسي بأقامة معرض تشكيلي لفنانين فرنسيين بين ٢٦تشرين اول - ٢ تشرين ثاني ، من اجل اطلاع جمهورنا على جانب من جوانب الثقافة الفرنسية ٠ ووجه المركز الثقافي الفرنسي دعوة الى مجلة الكاتب حيث قام مندوبنا بزيارة المعرض وكتب : شارك في هذا المعرض كل من الفنانين جان فابرو (JEAN FABRO) ويبك ريفيبه (YVES REYNIER)بمجموعة من أعمالهم الملفتة للانتباه من حيث اللون والموضوع ٠ واذا كانت اعمال فابرو تميزت بتأثره بالفن التجريدي ممزوجة باسلوب بهيكاسو ٠ فان بيك ريفيه يتخذ من الفن الحديث من خلال الشكل والموضوع بأعمال الرب الى الملصقات ٠

وفي الكتيب المرفق مع المعرض تعريف بالفنانين الفرنسيين وبأعمالهم يكتب (LISE OTT) عن أعمال جان فابرو بأنه يجد بوضوح مسلكين متناقضين ومكملين احدهما الآخر في عمل جان فابرو من ناحية رسوماته التي اتخذت مسلكا بسيطا (حيث يسهل التعرف على الحجيبه في اشكاله) ٠ حيث يحلو له على ما يبدو تقليد الأعمال المشهورة في الرسم (الموجة ، الابتذال ، الملك الحاسر ، لاندون الجهبية) ٠ وفي نفس الوقت يتجلى فيها حشد من العناصر الزخرفية المضحكة (فواصل ودجوم) التي جاءت لتخل بالنظام ٠

من ناحية اخرى خصصت الأنوان لعمل اشكال على ما يبدو لا عمق فيها بل تتخذ اشكالا فردية ، متناقضة ، تصهيرية وذات طابع غنائي يتأكد اكثر فاكثر ٠

اما عن حياته الشخصية ، فقد ولد جان فابرو عام ١٩٥٧ يقطن ويعمل في نيم - فرنسا ٠ ويحمل دبلوم مدرسة الفنون الجميلة ٠ وحول معارضه المشتركة فقد شارك في العام ١٩٨٣ في معرض المركز الوطني للفن البلاستيكي - باريس ٠ و١٩٨٧ معرض البر بالمصنعين -مارسيليا ٠ اما عام ١٩٨٨ فقد شارك في معرض حضارة تورو - نيم - وكان آخر معارضه المشتركة معرض نظمته مجلة (ايتي) ٠١٩٩٠/٥١/

أما معارضه الخاصة فقد أقام في العام ١٩٨٨ معرضا خاصا له في متحف " كوبور " ٠ وكان معرضه الثاني في العام ١٩٨٩ في مركز ليوناردو دي فينشي - كولور ٠

وكان آخر معارضه الخاصة في العام ١٩٩٠ " كلواتر دي كوردبليه" في تاراسكون ٠

اما الفنان ييف ريفيه - يكتب عنه MARE LE BOT فيقول « الطفولة في اعتقادي هي الحضور الممثل في صور ييف ريفيه ، حيث يعمل وجود البقايا الملصقة التي تعرفت عليها على اغناء التخيلات - هذه البقايا يمكن وجودها في كل كنوز الطفولة بسبب تباينها ولمعانها ولانها خليط من هذه الأشياء النادرة التي تجمع :

العاب - بقايا اشياء مقدسة - قرون - ريش - اصداف - طيور محنطة - قطع قماش كنائسي - صور - مستعمارات - حجارة وأوراق اللعب ٠ المعنى الذي تحمله كل من هذه القطع بالنسبة لي هو حكاية او معنى لسر سوف ينكشف اذا كانت هذه الحكايات والأسرار احيلت لماضي الطفولة ، وهي رغم ذلك خالية من الحزن ٠ لأن الحكايات التي قرويها او الأسرار التي نعتقد اننا كشفناها لا تشير اي أسف في الطفولة بل انها تحيي حضورها»٠

ومن حياته الشخصية فان ييف ريفيه ولد في العام ١٩٦٤ ويقطن ويعمل في مدينة نيم الفرنسية وهو برفسور في مدرسة الفنون الجميلة ٠

وقد شارك في عدة معارض منذ العام ١٩٧١ وحتى العام ١٩٨٩اهمها :- معرض مترو دنفرت ، روشو ، باريس ،ومعرض جامعة اوسيتان ، وبيانال جي ليتيز ، ومعرض مركز جوج بومبيدو ،ومتحف كاتنيني في مرسيليا وجاليري تيتانيوم في ايفنا ٠

اما معارضه الخاصة فكانت كما يلي :-

١٩٧٥ : تلاميذيتشي - روما

١٩٧٩ : جاليري بودوين - لوبون - باريس

١٩٨٤ : مركز جورج بومبيدو - باريس

جاليري طوكيو - طوكيو

١٩٨٩ : جاليري تولادو - ملبورن

١٩٩٠ : متحف الفن الحديث ٠ نيم

في النهاية ان هذه اللفتة من المركز الثقافي الفرنسي تستدعي الثناء والشكر من قبل المهتمين بالحركة الثقافية والتعرف على ثقافات الشعوب الاخرى أملين تكرارها ٠ وان تكون مثالا لبقية المراكز الثقافية الاجنبية يقتدون بها للتعرف على ثقافاتهم ولتكون حلقة وصل بين ثقافتنا والثقافات الاخرى

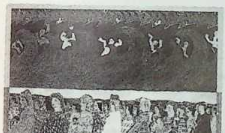

Digitized by Birzeit University Library

(٥)

فن التصوير ومذاهبه

فاطمة المحب

ان هذا الكون صورة جميلة تدل على عظمة الخالق. وان تأمل الانسان في نظامه واستجلاء جماله قد حفزه على ترديد ألحان الطير، وتسجيل صور الكائنات كلما خلا بنفسه واستسلم للخيال والالهام، ولقد شق الفن طريقه اينما وجد الانسان ولكل شعب فنه الخاص تطور حسب الظروف والزمان، لقد كان الفن في العهد الوثني والفن المسيحي والعهد الاسلامي يهدف الى تجميل أماكن العبادة. أما في ما يلي فسأتحدث عن التصوير ومذاهبه.

(١) التصوير الايطالي:

سبق ان تحدثت عنه في موضوع الفن المسيحي السابق، انه بدخول الديانة المسيحية الى تلك البلاد نشط فن التصوير لتجميل داخل الكنائس وكان تصويرا لما في الكتاب المقدس.. بدأ جامدا وفيه الاصطلاح في العهد البيزنطي اي المسيحي المبكر أما منذ القرن الرابع عشر فقد تحرر من ذلك الجمود في ايطاليا مما مهد لقيام عصر النهضة ووجود فنانين مبدعين أمثال مايكل انجيلو النحات والرسام وكذلك رفائيل الرسام، وليوناردو دافينشي الرسام والمفكر العظيم، كان هؤلاء في فترة زمنية متقاربة من القرن السادس عشر في اواخره حتى اواسط السابع عشر تقريبا، من اشهر أعمال مايكل انجيلو تمثال الرحمة للمسيح مع امه. وتصوير قبة الفاتيكان أما رفائيل فاشهر لوحاته العذراء الجالسة ولوحة اخرى لها مع المسيح.

اما ليوناردو فأشهر لوحاته العشاء الاخير للمسيح مع اصحابه ورسم في الفاتيكان مع رفائيل ومايكل انجيلو، ثم انه ذهب الى فرنسا بدعوة من الملك لويس الثاني عشر ليعمل في البلاط الملكي، ثم عاد الى روما ومن لوحاته الشهيرة ايضا لوحة (موناليزا) وهي لحسناء ذات ابتسامة غامضة ونظرة حزينة واللوحة حاليا في متحف اللوفر والغريب بها أنه لاول مرة يرسم فنان ايطالي موضوعا غير ديني ولكن نجد في القرن التاسع عشر أن الفنانين الايطاليين قد صوروا شتى المواضيع من الطبيعة ومن احوال المجتمع والانسانية مما ادهش بيئات الفن الحديث العالمي.

(٢) التصوير الفلمنكي

للتصوير الفلمنكي في الاراضي المنخفضة أي بلجيكا وهولندا اهمية في

Digitized by Birzeit University Library

تاريخ الفن العالمي فهو الوطن الثاني للتصوير بعد ايطاليا ولكنه يختلف عنه لانه مثل الشعر والادب يعبر عن أحوال المجتمع والحياة اليومية ومناظر الطبيعة فهو مثل الفن الحديث والفلمنكيون أول من استعمل الالوان الزيتية ومنهم تعلمتها البلاد الاخرى وقد أسسوا أقدم معهد للفنون الجميلة، وكانوا يذهبون الى ايطاليا ليتعلموا التصوير حتى اذا عادوا نقلوا هذا الفن لبلادهم ومن أشهر الفنانين عندهم روبنز الذي درس في ايطاليا وعمل في بلاده من اواخر القرن السادس عشر حتى اواسط السابع عشر وهو بلجيكي وفنان عالمي وكان جذاب الشخصية وبارعا في الرسم وقد عمل في بلاد الانكليز لفترة فأنعم عليه الملك شارل الاول بلقب سير، اما جامعة كيمبردج فقد منحته درجة ماجستير في الفنون الجميلة، ولقد كان الى جانب فنه سياسيا كبيرا ويعرف عدة لغات ولقد ارسله صديقه ملك اسبانيا الى ملك الانكليز لعقد اتفاقية تبادل السفراء، ومن اصحابه أيضا الفنان الاسباني الشهير فلاسكز.

أما هولندا فقد بلغت مجدها الفني بعد انفصالها عن بلجيكا، ومن أشهر الفنانين فيها رمبرانت الذي عاش في القرن السابع عشر وهو يمتاز بما استحدثه من تطبيق الظل والنور تطبيقا رائعا لم يسبقه فيه أحد ولقد أصبح فنان العصر واشتهر برسم الاشخاص واظهار تعبير وجوههم، وبرسم مناظر الطبيعة والفلاحين والصيادين وغير ذلك وكان ماهرا في عمل كليشهات الطباعة واشهر لوحاته درس التشريح وحارس الليل.

ومن الرسامين المبدعين في هولندا ايضا الفنان فيرمير الذي عمل في القرن السابع عشر ولقد كان سباقا لعصره. ولوحاته اعجبت سير جوشوا رينولدز رئيس الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة في انجلترا ولأن احدى لوحاته عند الملكه اليزابث ملكة بريطانيا الحالية، ويعتبر من رواد الفن الحديث. والهولنديون لم يكن غايتهم خدمة الاغراض الدينية بل تصوير الشعب والطبيعة.

(٣) التصوير الالماني:

بدأ التصوير الالماني في القرن الخامس عشر بأعمال مختلفة تستمد عناصرها من الفن الفلمنكي، ومن خصائص التصوير الالماني الدقة المتناهية ورسم الموضوعات الدينية والشعبية وتصوير رجالات العصر وملوكه وامرائه ويعتبر معهد الفنون الجميلة في ميونخ من اكبر المعاهد في ألمانيا بتأثيره على ارتقاء الفن فأوجد عدة فنانين ذاعت شهرته في اوروبا في القرن التاسع عشر.

لقد تأثر التصوير الالماني بنهضة الفن في اوروبا وبالاتجاهات الكثيرة التي استحدثها الفرنسيون ولقد اشتهر عندهم عدة فنانين أهمهم دورير وهولباين الذي عمل لفترة في بلاد الانجليز.

(٤) التصوير الاسباني:

ترجع نشأة التصوير الاسباني الى القرن السادس عشر فقد ظهر فنانون في اشبيلية وفي طليطلة وعلى رأسهم الفنان الجريكو، وكان معظم التصوير من الموضوعات الدينية. درس الجريكو في ايطاليا لذلك نقل ذلك الفن الى بلاده، لقد بذل ملوك اسبانيا عظيم العناية بفن

Digitized by Birzeit University Library

التصوير مما رفع من شأنه، والقرن السابع عشر هو عصر ارتقاء التصوير هناك، فتحرر الرسامون من التأثير الايطالي والفلمنكي، ومن كبار رساميهم فلاسكز وهو من أقدر الرساء . على ترجمة العواطف وتسجيل

(٥) التصوير الانكليزي

جرت العادة أن يستدعي ملوك الانكليز المصورين الالمان والفلمنكيين والايطاليين

البحار بأبعادها السحيقة وجمال ضوء اشعة الشمس الذهبية عليها ونور القمر الفضي والانكليز برعوا في الرسم بالالوان المائية - ولديهم معاهد لتعليم الفنون الجميلة وهي ممتازة كما أنهم تأثروا بمذاهب الفن التي

مظاهرها، ويعتبر من اقطاب الفن العالمي وخلدت ريشته عدة ملوك وأمراء وبابوات وشعراء كما انه عني بتسجيل حياة الطبقة الفقيرة في اسبانيا ويغلب على لوحاته الطابع الشعبي ويعطي لمناظره السعة والضياء مما يلفت النظر الى جمالها وهو صديق للفنان روبنز، أما الفنان بيكاسو الشهير فهو من اسبانيا أيضا وكذلك الرسام موريللو واشتهر في رسم طبقات الشعب بشكل رائع.

للقيام بشتى الاعمال الذنية ومنها التصوير أمثال هولبايين الالماني، وروبنز وفان دايك من الاراضي المنخفضة، ثم انه ظهر فنانون محليون من الانكليز مثل هوجارت وويلسن ولورانس برعوا في رسم الاشخاص ورسم المناظر الطبيعية، ومن أشهرهم سير جوشوا رينولدز في اواخر القرن التاسع عشر الذي كان اول رئيس للاكاديمية الملكية للفنون الجميلة، اما الفنان تيرنر فتعد لوحاته معجزة الرسم الانجليزي ويمثل أغلبها

نشأت في فرنسا ولكنهم يميلون الى الاسلوب الواقعي في التصوير ومن الرسامين الانكليز ايضا السيدة لورا نايت وكونستابل وجينسبره.

(٦) التصوير الفرنسي

تأثرت فرنسا بادىء الامر بالتصوير الايطالي والفلمنكي، فرسموا المواضيع الدينية والملوك والامراء، أما في القرن

Digitized by Birzeit University Library

التاسع عشر فقد رسموا شتى المواضيع، وكانت نهضة التصوير في عهد الملك لويس السادس عشر وكذلك بعد الثورة الفرنسية، فصوروا مواضيع الثورة والحياة الشعبية وغير ذلك، ثم ظهر في فرنسا فنانون مثل مدام ليبران رسمت نفسها مع طفلتها، وكان كل منهم يصور ما يعجبه ومثل ديجا رسم راقصات الباليه، ورنوار رسم المناظر الطبيعية تغمرها الاضواء. وسيزان رسم الطبيعة الصامتة أي الزهور والفواكه وميليه رسم الريف، وجوجان رسم البيئات الرجعية الفطرية من أهالي جزيرة تاهيتي القريبة من كوبا، أما فان جوخ الهولندي فتعتبره فرنسا من فنانيها لانه عاش في فرنسا ورسم كل شيء من بيئتها مثل صيادي السمك قرب مرسيليا، والفلاحين والاشجار والمناظر الطبيعية. وكل هؤلاء أثروا على نهضة الفن الحديث، وتباع لوحاتهم بأثمان باهظة جدا الى المتاحف والى هواة الفن من الاغنياء.

السياسة الفرنسية وأثرها في الفن التصويري

كان الفن وكما ذكرت سابقا وخاصة منذ القرن السابع عشر وقفا على الملوك والأمراء والأشراف في عهد الملك لويس الرابع عشر والخامس عشر عهد البذخ والترف ٠ وكان الرسامون يصورون تلك الحياة الماجنة ، أما في عهد الملك لويس السادس عشر وهو آخر ملوك فرنسا والذي كان ورعا وطيب القلب فقد توقف التصوير الماجن للبذخ وصار الفنانون يرسمون الطبيعة او الحياة الشعبية الى جانب رسمهم الصور الشخصية للملوك والأمراء ٠ لقد كان الحكم الملكي في فرنسا حكما مطلقا لا يشترك فيه الشعب ، ولما قامت الثورة الفرنسية في عهد الملك لويس السادس عشر قام باعلان حق الفرنسيين دون تفرقة في تقلد الوظائف العامة ، وكان هذا خطوة لاشراك الشعب في الحكم وهكذا مدأت الثورة عن طريق التفاهم السلمي ، وكان هنالك نابليون بونابرت في وظيفة في الجيش عالية جدا ، فلما تجددت الثورة شجعها وحرض الاحزاب والشعب بوسائل مختلفة وهكذا ظلت مشتعلة ، الى ان خلعوا الملك سنة ١٧٩٣ فلقي مصيره المؤلم ، ثم اعلنوا الجمهورية وعينوا اوصياء للحكم على رأسهم نابليون ، بعد ذلك توج نفسه امبراطورا على فرنسا ، ولقبه الامبراطور نابليون بونابرت الأول ١٨٠٤ وعين الرسام ديفيد رساما عنده ، فكان الرسم في عهده عسكريا ، وكثرت الحروب في عهده مع جيرانه وفي الخارج حتى انه احتل مصر ٠ أما لما حارب روسيا ودخل الشتاء فان الثلوج الروسية كسرت جيوشه ، وكان مصيره المنفى في احدى الجزر ٠ وعادت الملكية الى فرنسا سنة ١٨١٥ فكان لويس الثامن عشر ابن أخ لويس السادس عشر ملكا على فرنسا ، واصبح الحكم دستوريا اي باشراك الشعب ونوابه في الحكم ٠ تلا ذلك الملك شارل العاشر ، ثم لويس فيليب حتى سنة ١٨٤٨ ثم حصلت ظروف وفي نفس هذه السنة الغوا الملكية ثانية وارجعوا الجمهورية ثانية ، وتقلد الحكم ابن اخ نابليون الأول فرجعت الامبراطورية ولقب نابليون الثالث ٠ ولكن بعد مدة وفي حرب مع المانيا اسره الالمان ، ثم أعلنت فرنسا جمهورية من سنه ١٨٧٠ ولغاية الان ٠ وطبعا كل عدم الاستقرار ذلك كان له اثره في الفن في فرنسا حتى ظهور الانطباعية في الفن في ذلك الوقت ٠

المذاهب الفنية المختلفة

منذ القرن التاسع عشر وحتى اوائل القرن الحالي نشأت في فرنسا عدة مذاهب فنية ما لبثت ان انتشرت في اوروبا وهي:

Digitized by Birzeit University Library

١- المذهب الكلاسيكي

أي القديم بعد الثورة الفرنسية ظهر رسام اسمه دافيد رسم عن الثورة وكذلك دعا الى اتباع الاسلوب القديم الاغريقي والروماني في الرسم وهكذا نشأ تصوير بالغ الدقة وفيه محاكاة للطبيعة سمي الكلاسيكي.وهو يشبه رسم عصر النهضة الايطالي .

٢- المذهب الرومانتيكي

هذا الاتجاه يستمد مواضيعه من أساطير القدماء وأشعار سكوت وشكسبير ومن قصص الشرق الجذابة ومواضيعه.

وكان للفتوحات الفرنسية في الشرق أثر كبير في هذا الاتجاه وظهر طائفة من المستشرقين رسموا جمال الشرق.

٣- المذهب الواقعي

وهو الرسم عن الطبيعة بدقة وقد نشر هذا المذهب الانكليز فاستحسنه الفرنسيون وساروا على منواله.

٤- المذهب الرجعي

ترأس هذا المذهب الفنان جوجان من أواخر القرن التاسع عشر حتى اوائل القرن العشرين الحالي وذلك بالرجوع الى الاساليب الفطرية البدائية وقد أقام في جزيرة تاهيتي الواقعة في البحر الذي بين اميركا الشمالية واميركا الجنوبية في المنطقة الحارة وقد سجل حياة سكان تلك القبائل البدائية بألوان مشرقة.

٥- المذهب التأثري او الانطباعي

في أواخر القرن التاسع عشر قام الفنانون الفرنسيون بهذا المذهب وهو مبني على شعور الفنان وتأثره بما يراه وعلى تأثير الضوء على المرئيات فاهتموا بابراز جمال الضوء وانعكاساته بألوان مثل الوان الطيف اي الوان قوس القزح الذي يظهر على الغيوم فكانت لوحاتهم الوانها رائعة ومنسجمة ومتوافقة مثل توافق أنغام الموسيقى ومن المشهورين في هذا الرسام الفرنسي رنوار وكذلك الرسام الانكليزي تيرنر وقد سبق ذكرهما، ان المذهب التأثري ويسمى أيضا الانطباعي وفنانيه الانطباعيون كانوا يخرجون الى الهواء الطلق ليرسموا المناظر عن الطبيعة، ومن هؤلاء الفنان كاميل بيسارو وهو الزعيم الروحي لهؤلاء الفنانين وهو يهودي فرنسي تعرف على مونيه وبقية الانطباعيين امثال سيسلي وهو انكليزي. وفان جوخ وهو هولندي عاش في فرنسا، وكذلك منهم ماتيس ولوتريلك ورنوار وجوجان وسيزان، وهم بتأثير زعيمهم الروحي المذكور اعلاه بيسارو يرون ان الرسم ليس بالضرورة ان يكون من اجل رسم المواضيع الدينية او رسم الملوك والامراء، بل يجب ان يتجه الى الشعب ويرسم حياته ومعاناته، وأهتموا بتأثير الضوء على الاشياء المرسومة. أما جوجان وسيزان وفان جوخ فقد عادوا وانسحبوا عن هؤلاء لانهم يرون أن اللوحة يجب ان تظهر اكثر من الانطباع السريع بل يجب ان يصور الفن الواقع وينقل مغزى الى الناس.

وحاليا المذهب التأثري الانطباعي هو اكثر المذاهب شيوعا سيما اذا امتزج قليلا بالواقعية، وهو يرى ضرورة تعبير الفنان عما في نفسه وليس بالضرورة نقل كل ما يراه بل يحق له الحذف او الاضافة او التغيير بحسب التعبير عن المطلوب.

٦- المذاهب المتطرفة

Digitized by Birzeit University Library

المذهب المالي بالنسبة الى الآله والعصر الصناعي نشأ في ايطاليا، والتجريدي وهو يجرد الاشياء من خصائصها ويرسمها نشأ في روسيا، وكذلك السيريالي تحمس له فنان روسي وهو يرسم الاشياء بلا ارتباط بينها او معنى. والتكعيبي وهو من ابتكار الرسام الاسباني بيكاسو وفيه يرسم الاشياء بشكل مكعبات وكأنها العاب خشبية، وكل هذه الامور شاذة وهي انحدار في الامور الفنية.

حماية الفنانين المحافظين:-

لقد أنشأت حكومة انجلترا الاكاديمية الملكية للفنون الجميلة، وأنشأت فرنسا المعرض الفرنسي في باريس وذلك لحماية الفن والفنانين المحافظين من تلك المذاهب الاخيرة الشاذة، مثل التجريدي والتكعيبي والسيريالي وهكذا، ولا تقبل عضوية اصحاب تلك المذاهب فيها بل هي مقتصره على الفنانين المحافظين على قواعد الرسم من حيث الجوائز والعرض والعضوية أما اختراع آلة التصوير اي الكاميرا فقد دعا الفنانين الى العمل بأسلوب لا تستطيع عمله الكاميرا وذلك للمحافظة على مكانتهم.

العهد الجديد

في النصف الاخير من القرن الحالي اصبح التطور شاملا في كل شيء، فعصرنا عصر السرعة، وان سهولة الاتصال من جهة الى اخرى ساعد على امتزاج الثقافات، لقد كثرت المعارض الدولية والمتاحف الفنية، أما بالنسبة للعصر الصناعي الحالي فقد استحدث فن الاعلان، وبالنسبة لتقدم الطباعة فقد أصبح الرسم التصويري التوضيحي للكتب وبعض المجلات ضروريا وهكذا.

التصوير الفني في البلاد العربية

لقد اشتهر العرب بالخط العربي وبالزخرفة، أما الرسم التصويري فهو امر حديث، وفيه نهضة كبيرة، فجميع البلاد العربية فيها معاهد لتدريس الفن على المنهاج الاوروبي وفيها فنانون مبدعون وقاعات للعرض ومتاحف دائمة لفن التصوير وكثيرا ما توزع الجوائز على الفنانين، وكذلك كثرت الكتابة في امور الفن التشكيلي من اجل تثقيف الناس فنيا، وهذه النهضة شاملة وخصوصا في مصر. وقد اصبحت التربية الفنية ضمن مناهج التعليم، وهنالك صحوة عربية للفن نسأل الله التوفيق.

معرض
نحو التجريب والابداع

في قاعة المسرح للثقافة والفنون الفلسطينية - الحكواتي سابقا - تم افتتاح المعرض الثاني لجماعة (نحو التجريب والأبداع) بالفترة بين ١٠/٢٠ - ١٠/٣١ . وقد شارك في المعرض كل من الفنانين فيرا تماري ، نبيل عناني ، سليمان منصور ، تيسير بركات حيث قدموا نتاج آخر اعمالهم من لوحات وأعمال خزفية .

في تقديمهم لتجربتهم التي ابتدأت صيف ١٩٨٩ كجماعة متناغمة متناسقة مع بعضها البعض يقولون : "ما همنا ان كانت تجاربنا ذاتية ....ما همنا ان تجاوزت تجاربنا حدود الذات ".

ومن الملاحظ ان هناك نشاطاً متزايدا خلال الفترة الاخيرة للحركة التشكيلية حيث أقيمت عدة معارض اخرى لجماعة ناجي العلي وجماعة يبوس .

Digitized by Birzeit University Library

وهم الديمقراطي في اخراج مسرحية

" قضية المدعو س "

د٠ الهام ابوغزالة
- جامعة بير زيت -

ليس استخدام التقني عملا بريئا ، ومن ثم ، ليس الفني عملا اثيريا ، صافيا ومنزها ٠ بل هو نشاط بشري يعبر ويقول ٠٠٠وهو ، من حيث هو كذلك ، ايديولوجي ٠٠يكتسب فنيته بديمقراطيته ، اي بانفتاح موقع الراوي على اصوات الشخصيات ،بما فيها صوت السامع (الضمني) ، فيترك لهم حرية التعبير الخاص بهم ، ويقدم لنا منطوقاتهم المختلفة والمتفاوتة والمتناقضة وبذلك يكشف الفني عن طابع سياسي عميق قوامه حرية النطق والتعبير ٠

يمنى العيد ٠

لا وجود لنص دون مستقبل / ين لهذا النص ، يستقبلونه ويحاورونه ٠ وتعظم اهمية النص بقدر ما يتيحه من حوارية مع مستقبليه ٠ ويمكننا ان نقول ان الحوارية هي الاساس - تاريخيا واجتماعيا - لانتاج النصوص (اللغة) وتتشكل النصوص في التبادلات اللحظية للغة بين الناس ٠ وبدون هذه التبادلات اللغوية يصعب ان نتصور تطورا او مجتمعا او حياة٠

واذ يشكل التبادل اللغوي الشفوي بين الناس اكبر مثال على حتمية الحوارية من اجل تكوّن النصوص ، يكون الصمت ، او انعدام اللغة هو الطرف النقيض للحوارية ، اذ بالصمت تنعدم النصوص ٠ ويقف النص المكتوب في طرف وسط من هذه الحوارية ، وذلك لانه ، مع انه موجهه الى مستقبل / ين له ، الا ان مستقبليه متضمنين في كتابته ، باعتبارهم هدف هذه الكتابة ٠

ويكوّن المسرح (وكذلك المحاضرة) حالة خاصة من حوارية النصوص ٠ اذ ان كليهما يعتمد النص المكتوب (المعدّ سابقا) بما يعنيه ذلك من احتواء نصوصهما على مستقبل ضمنيّ ٠ ولكن ، في اللحظة التي يتحول خطابهما شفويا ، يتحول المستقبل الضمني للنصّ لديهما الى مستقبل له وجوده المادي في المكان والزمان الذي يقدمان نصهما فيه ٠ فكيف يتم التعامل مع هؤلاء المستقبلين ؟ هل يتم بالاعتماد على تضمنية المستقبلين في النص من حيث هو / كان مادة مكتوبة ، ام يتم باعتبار عيانيه وجود مستقبليه وبالتالي حتمية ترك النص مفتوحاً لحواريتهم ؟ ان اي من التوجهين اعلاه لدى مخرج المسرحية (او المحاضر) يحدد انغلاق النص امام مستقبليه - وبالتالي سلطوية منتجه بادعائه احتكار المعرفة - او انفتاحه على مستقبلي نصه وبالتالي ديمقراطيته ٠

ويبدو ان هذا الموضوع كان هنّا لمخرج مسرحية " قضية المدعو س " ، يعقوب اسماعيل ، اذ رأيناه وقد تأرجح ما بين هذه القطبين من مستقبلي النصّ ٠ فمن ناحيه ، رأينا يعقوب يحاول فتح النصّ على مستقبليه وذلك بادخالهم بين طياته (ادخالهم من الباب الخلفي للمسرح ، اجلاسهم

Digitized by Birzeit University Library

من اليسار المخرج يعقوب اسماعيل مع الممثل كامل الباشا في مشهد من المسرحية

على خشبة المسرح وليس في صالة المشاهدين ، اجلاسهم في دائرة حول الدائرة التي يتحرك فيها س / ص ، وضعهم داخل اطار من " الشبك " يلفهم وس / ص في داخله) ٠ ولكن يعقوب وقع ضحية نفس المشكلة التي اراد حلها ، وهي ادفتاح نصه على مستقبليه ٠ اذ انه ، وبادخاله مستقبلي نصه (المشاهدين) داخل النصّ ، لم يعودوا مستقبلين له ، بل اصبحوا جزءاً منه ٠ وبتحويلهم الى جزء من النصّ، يكون يعقوب اسماعيل قد ألغى الطرف الآخر من معادلة ايجاد النصّ وبالغائه مستقبلي معادلة ايجاد النصّ ، وهو المستقبل لهذا النص ٠ وبالغائه مستقبلي النص يكون المخرج اما قد اتكأ ثانية على فكرة النص المكتوب التي تعتمد المستقبل الضمني في كتابتها ، او انه اراد ان يقدم نصه في غياب مطلق لأي نوع من المستقبلين ، وفي هذا اسقاط مطلق للحوارية ، بمباشرتها وتضمنيتها : وهذا الاسقاط هو اسقاط للنص

ولكننا نفترض ان المخرج قد قرر ادخال مستقبلي نصه داخل هذاالنص من اجل رفع وتيرة مساهمتهم في هذا النص – من محاورين للنص وهم خارجه الى فاعلين فيه وهم داخله – ولكن افتراضنا سرعان ما يثبت خطأه ٠ فالمخرج الذي ادخلهم فيه وجعلهم جزءاً منه لم يعطهم صوتا فيه ٠ فأبقاهم في حالة الصمت المطبق ٠ كما انه لم يركز الضوء عليهم في اية لحظة بل ابقاهم في الظلام مما ساهم في تعميق صمتهم وبالتالي الغاء وجودهم من النص ٠ وبهذا يكون يعقوب اسماعيل قد وقع في ازدواجية تناقضيه في تعامله مع مستقبلي نصه تجعلنا نتساءل لماذا قام بها ٠ ولكن لنحاول التعليل :

نقول : – ربما اراد المخرج ان يخبرنا ان مستقبلي النص هم في نفس دائرة الصراع التي بها س (او العكس ، اي أن اشكالية س هي امتداد لاشكالية باقي الناس ممن هم حوله في الدائرة) ٠ ولكن بعدم اعطاء صوت لهذا البعد لشخصية س وبعدم تسليط الضوء عليه يكون المخرج قد حكم عليه بالموت / عدم الوجود مسبقاً ٠ فاذا كان س امتداداً لمن حوله ، واذا كان من حوله غير موجودين ، فكيف يمكن له هو ان يكون موجوداً ؟ وعندئذ اي معنى يأخذ الصراع الذي خاضه مع ص دونما مرجعيه الى امتداداتهم داخل الحلقة الاكبر ؟ فالصراع ينجم عن علاقة ، وس ، بانعدام امتداداته ما بين الناس داخل حلقته ، واكتفائه الصراع داخل حلقته الخاصة ، قد فقد مصداقيته لدي امتداده الانساني وبدا عبثياً اكثر مما هو حقيقي ٠

ونقول :– ربما اراد المخرج ، بفصله س عن امتداده الانساني ، ربما اراد ان يقول ان انعدام مثل هذا الامتداد – الذي تشكل الحوارية اهم منابعه – هو جزء من ازمة س : فالانسان في النهاية كائن ذو علاقات ولا يتشكل او ينمو او يوجد الا من خلال حواريته وعلاقاته ٠ ولكن ، اذا كان هذا ماراد المخرج ان يوصله في عرضه ، فلا شك انه لم يفعل ٠

ونقول :– ربما اراد المخرج بهذا الفصل بين س وبين امتداده الانساني ، ربما اراد عامداً ان يغيّب هذاالبعد ليقول لنا ان ازمة الانسان ما بينه وبين موته (باعتبار ص يمثل الجواب المتعدده لموت الانسان) هي ازمة فردية ، يتصارع معها لوحده ، يقهرها لوحده او تقهره لوحدها وان الآخرين لا وجود اواهميه لهم في هذا الصراع ٠ هم موجودون ولكنهم غير موجودين ومع انهم داخل نفس الحلقة مع س ٠ الا انهم غير واعين لها ، وبالتالي ليس لهم صوت فيها ، بل على س / الفرد ان يقوم بهذا الصراع لوحده ٠

ولكن ، اذا كان هو هدف المخرج فهو

Digitized by Birzeit University Library

لم يلتزم بفلسفته هذه ، وذلك لأن س لم يبق يصارع لوحده ، بل صار هناك تدخل من خارج س ، من المخرج ، الذي خرج في اللحظة التي قضى فيها س على نقيضه ص - كما بدا امامنا - وذلك ليساهم في تشكك س بما قام به ، وليخبره ان يأخذ حذره لان ص هناك باستمرار - " بنام فترة وبصحى فترة ، راح تظلوا تتصارعوا ..."

وتدخل المخرج بهذا الشكل ، عدا عن انه اثبات للحوارية ولحتمية وجود الانسان

المخرج يعقوب اسماعيل يوضح بعض الامور للممثلة سهام غزالة بينما يقوم كامل الباشا ببعض التمارين

في علاقات ، فقد اوجد ازمة لدي الطرف الآخر في النص ، اي مستقبليه الذين هم داخل الحلقة . فاذا اتفقنا ان المخرج يقوم على رأس هرم نصه ، وان الناس هم القاعدة ، يكون المخرج قد اقام الحوارية من رأس الهرم ، وليس من قاعدته وبذلك زاد من تهميش الناس داخل نصه ، ومن صمتهم ، وبذا يكون قد شكل نصه في قطبين شديدي التباعد .

س + المخرج (أعلى الهرم) # الناس في اسفل الهرم

وساهم هذا التباعد : الضوء (على س + المخرج) # انعدام الضوء (على الناس في اسفل الهرم)

الصوت (ل س + المخرج) # انعدام الصوت (للناس في اسفل الهرم)

وبتدخل المخرج في حياة س يكون قد احكم الدائرة عليه ، وذلك باعتباره - اي المخرج - المرجعيه الاولى - لولاه لما عرض علينا س ازمته - والاخيرة . ويكون النص قد رجع الى نقطة البداية (ساهم في هذه الرجعة الهارمونيكا والموت في الطفولة) . وكانت الدائرة قد بدت ، لوهلة ، انها ستنعطف في اتجاه انفتاحها على اللولبي . ولكن تدخل المخرج لحظة انتصار س على نقيضه / الموت ص ، وتشكيك المخرج في انجاز س هذا ، يكون المخرج قد عطف مسار صراع س مع موته (ص) نحو انغلاق الدائرة ، والعودة من بدء . وبتدخل المخرج وبانغلاق الدائرة ، يكون المخرج قد اقفل نصه عن حوارية امتداده الانساني داخل الدائرة ، وجعل من الحضور المستقبلين المتضمنين - وليس الفاعلين - في حوارية النص . واذا كان المستقبل الضمني هو من خصوصيات النص المكتوب وليس الشفوي ، تصبح المسرحية اقرب الى الخطاب المكتوب في علاقتها مع مستقبليها ، لا مكان للايدلوجي فيها الا للمخرج ، رأس الهرم - وبدا ادخال الناس / مستقبلي النص / المشاهدين داخل حلقة الصراع نوعا من وهم الديمقراطية - والوهم بوجود الديمقراطية اخطر من عدم وجودها . واتت نهاية العرض لتعزّز من انغلاق النص على نفسه وعلى تهميش الناس / المشاهدين / مستقبلي النص . اذ بعد ان ابقى المخرج الناس في ظلمة حالكة بعد انتهاء " العرض " ، اضاء المسرح لنجده - المخرج - والممثلين وقد وقفوا بعيدا عن الناس ، وسط قاعة المشاهدين ، رافعين رءوسهم مليئين بحس الانجاز ، وحالهم يقول : لقد قدمنا لكم عرضاً نجده ممتازاً ، اتركوا مكانكم ؛ تحركوا باتجاهنا من اجل التصفيق لنا وتهنئتنا . وبهذا يكون المخرج قد عزز من هرميه نصه ، والاخطر ، انه حوّل الناس من حالة الصمت التي وضعهم فيها الى موقع المصفقين له / لنصه . وفي الحالتين بقي الناس في الخارج ، في خارج النص ، دون ان ينفتح النص عليهم في اية لحظة (وهذا الموقف يذكرنا بمشاهد يومية نراها على شاشات تلفاز الحكومات المحيطة بنا = الصمت - التصفيق !!) وبهذا يكون قد سقط حتى الوهم بالديمقراطي .

ملاحظة : ان النقاط التي ذكرتها اعلاه يجب ان لا تقلل من قيمة الفنّ فيما قدمه يعقوب اسماعيل ، كامل الباشا وسهام غزالة في عرضهم ، وقد ابدعوا في ذلك . ملاحظاتي هي حول قيام الفنّ بالايديولوجي .

Digitized by Birzeit University Library

السينما الفلسطينية

(٢)

الاستاذ عدنان مدانات

القضية الفلسطينية في السينما بعد عام ١٩٦٧

انتشرت بعد عام ١٩٦٧ مباشرة موجة جديدة من الافلام التي بدأت تعالج الموضوع الفلسطيني سواء في العالم العربي او في غيره. وكانت هذه الفترة ايضا بداية تكوين النواة الاولى للسينما المنضوية تحت لواء الثورة الفلسطينية. ومنذ عام ١٩٧٠ دار حوار بين السينمائيين والصحافيين السينمائيين العرب المهتمين بموضوع السينما الفلسطينية حول ماهية هذه السينما، وهل هي السينما التي تنتج ضمن اطر الثورة الفلسطينية فقط، ام انه يمكن اعتبار الافلام الجديدة التي اخرجها سينمائيون عرب مؤيدون لمنظمة التحرير الفلسطينية افلاما فلسطينية ايضا؟ والحوار ذاته حول الافلام التي يصنعها سينمائيون اوروبيون مؤيدون لقضية الشعب الفلسطيني.

ومع ان الحوار كان يقود باتجاه اعتبار كل الافلام المؤيدة للقضية الفلسطينية العربية افلاما فلسطينية، انطلاقا من فكرة قومية القضية وعالميتها، فان الواقع كان يشير الى ضرورة التمييز بين الجهات المنتجة بسبب اختلاف شروط الانتاج وتوجهاته. ولهذا فاننا سنعتمد في هذه المقالة التقسيم الثلاثي: السينما المنتجة ضمن اطار الثورة الفلسطينية، والسينما التي انتجها سينمائيون عرب متعاطفون مع الثورة الفلسطينية، واخيرا السينما التي انتجها السينمائيون غير العرب.

١- الاهتمام العالمي بالقضية الفلسطينية سينمائيا :

تحولت الارض العربية بعد عام ١٩٦٧ الى منطقة نشاط قام به المصورون السينمائيون المعتمدون لدى وكالات الانباء العالمية. وتوافد الى المنطقة، وبخاصة الى حيث يعيش اللاجئون والنازحون الفلسطينيون، عشرات المصورين الذين سجلوا احداث ما بعد حرب حزيران/ يونيو. وطبيعي ان تثير هذه الحركة الاعلامية اهتمام الرأي العام العالمي. وفي الوقت نفسه، فقد كان لنشوء الثورة الفلسطينية وانتشارها السريع بين اوساط الجماهير العربية قوة الجذب التي كانت لحرب حزيران/ يونيو ١٩٦٧، ان لم نقل انها كانت اشد، وهكذا، وبالاضافة الى نشاط وكالات الانباء السينمائية الدولية، اهتم سينمائيون اجانب تقدميون ومجموعات سينمائية اجنبية تقدمية بقضية فلسطين من جهة التعاطف مع الثورة الفلسطينية الناشئة.

وكان اهتمام السينمائيين الاجانب ينصب بالدرجة الاولى على متابعة نشاطات حركة المقاومة الفلسطينية المتعاظمة الانتشار. وهذا ما عبر عنه الفيلم الايطالي عن الثورة الفلسطينية، وهو فيلم "فتح"، الذي صوره لويجي بيريللي عام ١٩٦٩ وانتجته شركة يونتيل التقدمية الايطالية. وهو الذي تم تصويره في مناطق وجود الفدائيين الفلسطينيين في الاردن اذ يحاول ان يستعرض بشكل شمولي الانجازات التي حققتها الثورة الفلسطينية اجتماعيا وثقافيا وصحيا وسياسيا وعسكريا بين اوساط الجماهير الفلسطينية واوساط المقاتلين.

وفي سويسرا اخرج فرنسيس روبسير (عام ١٩٧٠) فيلم "بلادي" الذي يدفع على اثر عملية الفدائيين ضد طائرة العال في مطار زيورخ. وانتجت مجموعة سينمائية

Digitized by Birzeit University Library

تطلق على نفسها اسم "الحاضر كتاريخ" فيلم "عندما اكون جائعا".

وفي بريطانيا، تم اخراج فيلم "حتى ذلك الوقت" (١٩٧٠)، وقد اخرجه جيمس غراغير، وهو عبارة عن ريبورتاج عن لاجئة من غزة تعيش في رام الله تحت الاحتلال. وانتج سينمائيون بريطانيون ايضا فيلما بعنوان "القدس في خطر" (١٩٧١).

وقد كانت هذه الافلام بداية لزخم كثيف من الافلام الاوروبية التسجيلية عن الثورة الفلسطينية وعن القضية الفلسطينية. فبعد عام ١٩٧١ بدأت تتكاثر الافلام المتعاطفة مع القضية الفلسطينية. وظهر في المانيا الغربية المخرج التقدمي مانفريد فوس الذي بدأ ينتج سنويا افلاما عن القضية الفلسطينية، منها "فلسطين اين تقع؟" (عام ١٩٧٣) "ولانه فلسطيني" (١٩٧٣)، وهذا الفيلم يروي قصة الاضطهاد الذي يتعرض له الفلسطينيون العاملون في المانيا الغربية، وفيلم "ارض الميعاد - الحلم والواقع" (١٩٧٤).

وتراوحت الافلام المنتجة عن القضية الفلسطينية بين السرد الاخباري والتحليل السياسي التاريخي للقضية والحديث عن محطات هامة في الاحداث الفلسطينية المعاصرة. والفيلم الهولندي "الفلسطينيون" الذي اخرجه يوهان فان دير كوكين (١٩٧٥) ونال جائزة هامة من مهرجان بغداد لافلام وبرامج فلسطين في عام ١٩٧٦. وكذلك فيلم "الحلم" الذي اخرجه يان فيستر عام ١٩٧٦. وهذا الفيلم يمزج ما بين الاسلوب الشعري والتسجيلي مستخدما مادة لوحات الاطفال عن فلسطين والوثائق السينمائية.

وفي فرنسا اخرج الناقد السينمائي اليساري سيرج لوبيرون فيلم "الزيتونة" الذي انتجته جماعة فانسان السينمائية عام ١٩٧٥. كما قام سينمائيون من الدول الاشتراكية باخراج افلام عن القضية الفلسطينية تميزت من بينها مجموعة افلام المخرج المجري يانوش كرودينال التي اخرجها لحساب التلفزيون المجري، بالاضافة الى الافلام السوفييتية، ومن ابرزها فيلم "للفلسطينيين حق في الحياة" (١٩٧٩) (٢١).

ان هذه الافلام التي ذكرناها لا تغطي الا نسبة قليلة جدا من عدد الافلام المنتجة عن القضية الفلسطينية في دول العالم في السنوات الماضية، وقد اسهمت الى حد كبير في توضيح الصورة امام فئات كثيرة من الرأي العام العالمي.

ومع ذلك فانه يجدر القول ان تأثير هذه الافلام لم يكن بالمستوى الذي وصلت اليه الدعاية الصهيونية من خلال السينما، لان هذه الافلام كانت نتاج جهود فردية او مجموعات سينمائية صغيرة، وكانت تلقى الى جانب ذلك محاربة شديدة من قبل وسائل العرض السينمائية والتلفزيونية في العالم.

ومن المحطات البارزة في تاريخ علاقة السينما العالمية المتعاطفة مع القضية الفلسطينية بالموضوع الفلسطيني مشاركة سينمائيين معروفين عالميا في انتاج افلام عن القضية الفلسطينية. وهنا يجب ان نؤكد ان هذه المشاركة كانت تتم بمبادرات ذاتية نتيجة اقتناع خاص من قبل اولئك السينمائيين بعدالة القضية الفلسطينية، وكانت هذه المشاركة تتم في اكثر الحالات بمعزل عن التنسيق مع القيادات او الجهات الفلسطينية المسؤولة، ولهذا فان النتيجة النهائية لهذه الافلام لم تكن دائما مرضية كليا، كما ان هذه المشاركة كانت تتم لمرة واحدة ولا تتكرر. وهذا يدل على قصور كبير في التوجه الاعلامي الفلسطيني والعربي مقابل الجهود غير العادية التي تبذلها الحركة الصهيونية لكسب تأييد اكبر عدد من نجوم السينما في العالم من مخرجين وممثلين وغيرهم.

ومن الامثلة البارزة على علاقة السينمائيين العالميين المعروفين بالقضية الفلسطينية تجربة المخرج الفرنسي المعروف جان لوك غودار، وتجربة الممثلة الانجليزية الشهيرة فانيسا ردغريف Vanessa Redgrave، وتجربة المخرج اليوناني الاصل كوستا غافراس Costa Gavras. فقد حضر السينمائي الفرنسي جان لوك غودار الى قواعد الفدائيين في الاردن عام ١٩٦٨ مدفوعا بأفكاره السياسية اليسارية ومتأثرا بالضجة الكبرى التي اثارها بزوغ حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة، وامضى في الاردن بضعة اشهر صور خلالها الاف الامتار من الاشرطة السينمائية المتضمنة وقائع ومشاهد ومقابلات مع قادة ومقاتلين. غير انه كان يحاول ان يطابق ما بين واقع المقاومة كما راقبه وبين مفهومه الخاص للثورة ولما يجب ان تكون عليه. وعندما عاد الى فرنسا لم يتمكن من انجاز الفيلم وظل يعمل عليه عدة سنوات، حتى كان عام ١٩٧٦ فبدأت صالات السينما تعرض فيلمه الجديد "هنا وهناك" الذي استخدم فيه بعض المواد التي صورها في الاردن. ويمزج غودار في فيلمه هذا بين العنصر التسجيلي والعنصر التمثيلي الروائي. وليس هذا الفيلم عن الثورة الفلسطينية ولا عن القضية الفلسطينية بقدر ما هو محاولة من المخرج غودار لعقد مقارنة بين الوضع الثوري الذي عاشته الثورة الفلسطينية والوضع الاستهلاكي الذي يعيشه البرجوازي الفرنسي. غير ان غودار اذ يرى ان الفلسطينيين يعيشون وضعا ثوريا لا يرى الثورة التي يريد، وبالتالي فان نظرته الى حركة المقاومة الفلسطينية لا تخلو من السلبية من وجهة نظر الممارسة الثورية التي يفهمها.

Digitized by Birzeit University Library

واما الممثلة فانيسا ردغريف فقد حضرت الى لبنان عام ١٩٧٦ وانتجت وشاركت في اجراء المقابلات والتعليق على المشاهد في فيلم تسجيلي طويل عنوانه "الفلسطينيون" من اخراج المخرج الانجليزي روي باترسباي Roy Battersby . وفي هذا الفيلم المناخ كليا الى قضية الشعب الفلسطيني تناقش فانيسا ردغريف القضية الفلسطينية وتبدي تعاطفها معها من خلال تصوير اجواء الحرب في لبنان ومجازر تل الزعتر وغيرها. وقد اثار فيلم "الفلسطينيون" ضجة كبرى في العالم وجندت الحركة الصهيونية انصارها في كل مكان للقيام بحملة معادية لفانيسا ردغريف لحرمانها من العمل في السينما ، ومع ذلك فقد الهبت هذه التجربة حماسة فانيسا ردغريف المعروفة بنشاطها السياسي الثوري وكونها عضوا بارزا في حزب العمال البريطاني الثوري وهكذا فقد كررت التجربة بعد بضعة اعوام مركزة اكثر فأكثر على جوهر القضية الفلسطينية من خلال تصوير نضال الفلسطينيين تحت الاحتلال، وكان ذلك في فيلم "الارض المحتلة" الذي انتجته عام ١٩٨٠ واخرجه المخرج الامريكي دافيد كوف.

واما التجربة الثالثة الهامة في مجال علاقة السينمائيين العالميين بالقضية الفلسطينية فقد كانت تجربة المخرج كوستا غافراس في فيلمه "حنة - ك" Hanna K.(١٩٨٢).وهنا يجدر ان نذكر ان فكرة قيام كوستا غافراس، وهو معروف باخراجه افلاما ناجحة عن الحركات اليسارية المناهضة للامبريالية، باخراج فيلم عن قضية فلسطين كانت نتيجة اقتراح من شخصية فلسطينية مهاجرة في امريكا. غير ان هذا الاقتراح لم يستطع ان يلقى الدعم المطلوب من المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية او من اية جهة عربية معنية، وهكذا تأخر تنفيذ قيام كوستا غافراس بالمشروع. وفيما بعد قرر غافراس انتاج الفيلم بعد ان استهواه الموضوع بطريقته الخاصة. وفي حين كان الاقتراح الاصلي يهدف الى ان يخرج كوستا غافراس فيلمه عن نص فلسطيني جاء فيلم "حنة - ك" نتيجة لاجتهاد المخرج الخاص بعد ان قام بزيارة فلسطين المحتلة ودرس الوضع وحدد موقفه المستقل.

وفي النتيجة جاء الفيلم محايدا، فلا يمكن اعتباره صهيونيا، كما لا يمكن اعتباره بالمقابل فيلما يعبر عن وجهة النظر الفلسطينية كل التعبير، لانه يبحث عن حل وسط ويسعى الى ايجاد نقاط التلاقي بين وجهة النظر الفلسطينية المعتدلة ووجهة نظر انصار السلام الاسرائيلية. ومع هذا فان الفيلم لا يخفي تعاطفه مع الحقوق الفلسطينية بعامة ورفضه للفكر الصهيوني المتعصب (٢٢).

ان هذه التجارب الثلاث ذات اهمية كبيرة من حيث المبدأ، وقد كان من الممكن ان تتحول الى ظاهرة اعم واوسع لو توافر الوعي والرغبة في الدعم عند الجهات العربية والفلسطينية المختصة. وهنا نشير الى ان الدولة الصهيونية لا تبذل جهدا كبيرا من اجل انتاج افلام عالمية لمصلحتها وحسب، بل من اجل كسب تعاطف سينمائيين منفردين مع اسرائيل ايضا. ولهذا فان اسرائيل تسعى دائما لاستقطاب اشهر الاسماء السينمائية العالمية، سواء منها اسماء المخرجين او كتاب السيناريو او الممثلين والممثلات، وتنظم لهم زيارات خاصة لفلسطين المحتلة. وقد حصل هذا مثلا مع الممثلة المعروفة جين فوندا Jane Fonda التي اشتهرت بمواقفها السياسية التقدمية ومناصرتها للشعب الفيتنامي وكانت حتى عام ١٩٧٦ تتعاطف مع قضية الشعب الفلسطيني، ثم تحولت الى مناصرة للدولة الصهيونية بعد عودتها الى فلسطين المحتلة.

ومكذا، ومع اهمية الافلام التسجيلية العالمية التي تعاطفت مع قضية فلسطين، فقد كانت ثمة حاجة ملحة الى وجود افلام سينمائية روائية عالمية مؤيدة للقضية الفلسطينية تستطيع ان تواجه هذا السيل الهائل من الافلام المعبرة عن وجهة النظر الصهيونية، وبخاصة بعد ان بدأ عدد من شركات الانتاج الاوروبية والامريكية بانتاج افلام تظهر فيها صورة الفدائي الفلسطيني على انه ارهابي مجرم. وتتضح الحاجة الملحة الى افلام روائية متعاطفة مع قضية فلسطين من حقيقة ثانية هي ان التأثير الذي تحدثه الافلام الروائية في الرأي العالمي اكبر بما لا يقاس من تأثير الافلام التسجيلية. وبالطبع فان الوصول الى مثل هذه الافلام الروائية كان يتطلب جهدا خاصا من الدول العربية ومن قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، وهو جهد لم يتحقق على اية حال.

ان الارضية التي يمكن ان تستند اليها سينما عالمية مؤيدة لقضية فلسطين موجودة. فمن جهة هناك السينمائيون التقدميون في العالم، ومن جهة ثانية هناك المادة الفنية التي يمكن ان تشكل مواضيع للافلام. هذا بالاضافة الى توفر رأس المال القادر على دعم مثل هذه الافلام. وهنا نذكر فيلم "٢١ ساعة في ميونيخ" 21 Hours at Munich الذي تم انتاجه وفق مقاييس السينما التجارية العادية التي تبحث عن مواضيع مثيرة لافلام المغامرات. فقد حاول هذا الفيلم ان يقدم ولو بشكل سائح وسطحي صورة ايجابية للفدائي الفلسطيني. والجدير بالذكر انه عندما عرض الفيلم تجاريا في بيروت في اواخر السبعينات قامت لجنة من مسؤولي المقاومة بمشاهدته وصرحت بانه ليس معاديا للثورة. والحقيقة

Digitized by Birzeit University Library

انه مع بساطته وسطحيته كان يمكن ان يشكل حالة تراكمية مفيدة في نهاية المطاف. ونذكر هنا ان هذا الفيلم هوجم من قبل الاوساط الصهيونية في العالم، مثلما هوجم فيلم "فلسطينيون" وفيلم "حنة -ك". وهذا يؤكد من جديد اهمية هذه الافلام القصوى بالرغم من اختلاف مستوياتها.

٢- السينما العربية وقضية فلسطين:

برزت في السينما العربية بعد عام ١٩٦٧ ظاهرة غريبة بعض الغرابة، وذلك على العكس مما حدث بالنسبة الى الفنون والآداب الاخرى. فالادب والفن بشكل عام عبرا بعد نكسة حزيران/يونيو عن مشاعر الاحباط والتشاؤم والخيبة، وهي المشاعر التي سيطرت فترة ما على معظم المثقفين العرب. غير ان الامر حصل على العكس من ذلك بالنسبة الى السينما. فقد الهبت الهزيمة مشاعر السينمائيين الشباب العرب ودفعتهم الى اخراج افلام تسجيلية وروائية تعبر عن روح رافضة للهزيمة. وقد لعب نشوء حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة واتساعها بعد عام ١٩٦٧ دورا مميزا في اذكاء هذه الروح السينمائية الجديدة. وبدا كأن السينما العربية تحاول ان تعوض عن تاريخها السابق الذي تجاهلت فيه القضايا الوطنية بعامة وقضية فلسطين بخاصة.

وهكذا عرفت السينما العربية منذ عام ١٩٦٨ قدرا كبيرا من الافلام التسجيلية وعددا لا بأس به من الافلام الروائية القصيرة والطويلة عن القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني، وتركز انتاج هذه الافلام بخاصة في مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان.

وهنا يجدر ان نذكر انه فضلا عن ظروف سياسية مستجدة وملائمة بعض الملاءمة، نشأت ظروف انتاجية خاصة ساهمت في هذه النقلة النوعية في السينما العربية. فمن جهة ترافقت هذه الحركة الجديدة مع نشوء مؤسسات القطاع العام للسينما التي بدأت تعمل الى حد ما ضمن اهداف بعيدة عن اهداف السينما التجارية السائدة وضمن شروط اقتصادية انتاجية مختلفة عن الشروط التجارية العادية للقطاع الخاص السينمائي، ومن جهة اخرى برز في العالم العربي جيل جديد من السينمائيين المتخصصين والمثقفين المرتبطين بهموم شعبهم والراغبين بصنع سينما جديدة تعبر عن هموم الشعوب العربية على كافة الصعد. وكانت هزيمة حزيران/يونيو وتطورات القضية الفلسطينية هما اساسيا بالنسبة الى اولئك السينمائيين الشباب. ويؤكد الباحث يوسف اليوسف في كتابه قضية فلسطين في السينما العربية هذه الحقيقة فيقول: "على ان من اهم مؤشرات نمو وعي السينما العربية بالقضية الفلسطينية، هو بيان المؤتمر الاول للسينمائيين التسجيليين والتلفزيونيين العرب الذي اصدروه في مهرجان لايبزغ Leipzig الدولي للافلام التسجيلية عام ١٩٦٩. فهذا البيان بخطوطه التفصيلية يعكس تحولا في فهم هؤلاء السينمائيين لمهمة السينما ودورها في توضيح جوانب القضية للرأي العام العالمي" (٢٣).

ولم تكن افلام اولئك السينمائيين وحدها سيدة الساحة بالطبع، فقد تلقفت السينما التجارية الموجة ايضا وانتجت مجموعة من الافلام الروائية التجارية عن حرب حزيران/يونيو وعن الثورة الفلسطينية. وهنا يجب ان نميز بين نوعين، او اتجاهين، من الافلام التي ناقشت مسائل الصراع العربي الصهيوني. فقد ناقش احد الاتجاهين المسألة من جهة الصراع بين الكيان الصهيوني والدولة التي انتجت فيها الافلام. واما الاتجاه الاخر فقد ركز اساسا على المسألة الفلسطينية.

واما على صعيد السينما المصرية فان الوضع اتسم بهيمنة الافلام التسجيلية على الساحة السينمائية من خلال المركز القومي للافلام التسجيلية. وهذا ما يؤكده الباحث المصري سمير فريد بقوله: "كانت حرب حزيران/يونيو ١٩٦٧ وما ترتب عليها من اثار هي بالضرورة الموضوع الاول الذي اهتم به المركز القومي للافلام التسجيلية". ويعقب الباحث يوسف اليوسف على هذا الموضوع قائلا: "وهكذا ظهرت حتى عام ١٩٦٧، وعلى فترات متفاوتة، عدة افلام تهتم بالحرب العربية الصهيونية، وان لم يدخل بعضها في صلب القضية الفلسطينية كما سنبين فيما بعد". وهذه الافلام هي "العار لامريكا" لاحمد راشد و "مدينة السويس" لعلي عبد الخالق، و "لن نموت مرتين" لفؤاد التهامي، و "بور سعيد" لاحمد راشد، و "عدوان على الوطن العربي" لسعد نديم (٢٤).

ثم انه كانت هناك بالطبع افلام تسجيلية اقتربت مباشرة من الموضوع الفلسطيني، ففي عام ١٩٦٨ اخرج احمد فؤاد درويش فيلم "وجوه من القدس"، وهو فيلم يعتمد على لوحات لفنانين فلسطينيين عرضت في القاهرة في ذلك العام. واخرج المخرج نفسه بعد ذلك فيلم "كرنفال". وفي عام ١٩٧٤ اخرجت سعدية غنيم فيلم "الجمعة الحزينة" الذي يقارن بين صلب السيد المسيح والظلم الذي يتعرض له شعب فلسطين المحتل.

واما على صعيد الافلام الروائية فقد برزت منذ عام ١٩٦٨ مجموعة كبيرة من الافلام التي ادانت الهزيمة. غير انه يبرز من بين هذه الافلام الفيلمان اللذان انتجتهما جماعة السينما الجديدة في ر، وهي الجماعة التي تأسست عام ١٩٦٨ بطموحات

Digitized by Birzeit University Library

جادة نحو خلق سينما مصرية واقعية تلتزم بقضايا الجماهير. وقد اخرج الفيلم الاول للجماعة "اغنية على الممر" (١٩٧٢) المخرج علي عبد الخالق، وخصص للحديث عن صمود مجموعة جنود حتى الموت في موقع امامي على الجبهة مع العدو الاسرائيلي اثناء حرب حزيران/يونيو.

وفي عام ١٩٧٣ انتجت الجماعة فيلمها الثاني "الظلال على الجانب الاخر" الذي اخرجه المخرج الفلسطيني غالب شعث. وهذا ليس فيلما عن القضية الفلسطينية، وانما يقدم شخصية فنان فلسطيني يعيش في القاهرة ويصل الى قرار الانضمام الى قوات الثورة الفلسطينية. وهو يعكس من ناحية ثانية بعض الانتقادات للاوضاع التي تلت الهزيمة. والجدير بالذكر ان هذا الفيلم منع من العرض رسميا ولم يسمح بعرضه الا بعد عامين، اي في العام ١٩٧٥ بعد ان اضيفت اليه جملة مكتوبة في نهايته تشير الى ان الجيش المصري عبر القناة.

هذا وقد استمرت الافلام الروائية المصرية، وبخاصة بعد عام ١٩٧٣، تتعرض لمسألة الصراع العربي الاسرائيلي من زاوية حرب اكتوبر وعبور قناة السويس. وهنا علينا ان نلاحظ ما يلي: انتجت السينما المصرية في ١٩٧٤، اي مباشرة بعد حرب اكتوبر، اربعة افلام روائية طويلة هي "الرصاصة لا تزال في جيبي" و "بدور" و "الوفاء العظيم" و "ابناء الصمت". وتمجد هذه الافلام نتائج الانتصار العسكري وتنتقد، ولو بشكل غير مباشر، العهد السياسي السابق. غير انه نتيجة للتطورات السياسية التي تمت بعد الحرب توقف انتاج مثل هذه الافلام نهائيا، وكان الفيلم الوحيد عن حرب اكتوبر والذي انتج بعد ذلك بأربع سنوات هو "العمر لحظة". وفي حين ان الافلام المكرسة لحرب اكتوبر التي ذكرناها كانت مليئة بالحماسة، فان الافلام المصرية العادية التي وردت فيها اشارات الى هذه الحرب افتقدت الحماسة الماضية في حين ركزت على مساوىء عصر الانفتاح. واما الافلام التي انتجت في الثمانينات فقد بدأت تتحدث بشكل متشائم عن الفترة التي تلت حرب اكتوبر وتنظر اليها كذكرى لايام مجيدة غابرة. ومن اهم هذه الافلام فيلم "سواق الاوتوبيس" (١٩٨٢) وفيلم "بيت القاضي" (١٩٨٥).

واما على صعيد السينما في سوريا فقد كان الامر مختلفا بعض الاختلاف، وتميز الوضع السينمائي بالتحام اكثر مباشرة بالموضوع الفلسطيني مع بروز مجموعة من الافلام التسجيلية القصيرة عن القضية الفلسطينية، حاز بعضها جوائز هامة من مهرجانات سينمائية دولية منها مهرجان لايبزغ للافلام التسجيلية كما برزت بعض الافلام الروائية القصيرة والطويلة عن فلسطين ونال بعضها صدى عالميا كبيرا، هذا الى جانب مجموعة من الافلام التي انتجتها السينما التجارية.

كانت بداية الانتاج السينمائي التسجيلي عن القضية الفلسطينية بفيلم "بعيدا عن الوطن" الذي اخرجه قيس الزبيدي عام ١٩٦٩، وهو من انتاج المؤسسة العامة للسينما. وقد اعتبر هذا الفيلم تجربة رائدة في مجال التعامل مع السينما التسجيلية وهو يقارن بين بؤس حياة الاطفال في المخيمات الفلسطينية قرب دمشق وطموحاتهم نحو حياة افضل. ونال الجائزة الفضية من مهرجان لايبزغ السينمائي الدولي في العام ذاته، وكان بداية لانطلاق الافلام عن القضية الفلسطينية نحو المهرجانات الدولية.

كما تميز الفيلم الذي اخرجه فيصل الياسري "نحن بخير" (١٩٧٠)، وهو من انتاج التلفزيون العربي السوري، وقد حاز ايضا الجائزة الفضية من مهرجان لايبزغ لعام ١٩٧٠. ويصور هذا الفيلم معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، مستندا الى التناقض والمفارقة بين المشاهد الوثائقية التي تصور الارهاب الصهيوني للمواطنين الفلسطينيين والرسائل التي يبعثها هؤلاء المواطنون الى ذويهم عبر الاذاعة وتبدأ عادة بجملة "نحن بخير. طمنونا عنكم".

وفي العام نفسه اخرج مروان مؤذن فيلم "عيد سعيد" عن الاوضاع البائسة للاجئين الفلسطينيين. واما المخرج نبيل المالح فقد قدم عام ١٩٧٠ فيلمه التجريبي "نابالم" بطول ثلاث دقائق، وهو فيلم مصنوع على طريقة الاعلانات التجارية ويدين بسخرية مرة استخدام النابالم في الحرب. وفي عام ١٩٧٢ عاد قيس الزبيدي الى الموضوع الفلسطيني ليقدم فيلمه الهام "شهادة الاطفال الفلسطينيين في زمن الحرب"، وهو يعتمد على تصوير لوحات لاطفال فلسطينيين من مخيم البقعة في الاردن. وقد صدرت هذه اللوحات في كتاب بالعنوان نفسه باشراف منى السعودي. ومن الجدير بالذكر ان المادة الموجودة في هذا الكتاب ستدخل في صلب مجموعة من الافلام التسجيلية العربية والعالمية. وفي العام ١٩٧٦ اخرج قيس الزبيدي من انتاج التلفزيون السوري فيلمه التسجيلي "نداء الارض" عن نضال الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال.

كما انتج التلفزيون السوري مجموعة من الافلام السينمائية التسجيلية اخرجها امين البني. ومن هذه الافلام "دروس في الحضارة" (١٩٧٤) و "موتى في سبيل فلسطين" (١٩٧٥). وقد ساهمت منظمة التحرير الفلسطينية في انتاج هذا الفيلم الذي يصور عملية اغتيال محمود الهمشري في باريس بأيدي العصابات الصهيونية.

واما على صعيد السينما الروائية فقد

Digitized by Birzeit University Library

برزت مجموعة افلام قصيرة ومتوسطة الطول وطويلة تركز على الجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية، وهي من انتاج المؤسسة العامة للسينما. هذا فضلا عن الفيلم المتوسط الطول الذي انتجه عام ١٩٧١ استوديو الجيش واخرجه امين البني، وهو "حتى الرجل الاخير" المقتبس عن مسرحية الكاتب المصري علي دياب "اغنية على الممر" التي اقتبس عنها الفيلم المصري "اغنية على الممر" من اخراج علي عبد الخالق.

وكان اول الافلام القصيرة "اكليل الشوك" الذي اخرجه نبيل المالح عام ١٩٦٩، وهو يمزج المادتين الروائية والتسجيلية من خلال تداعيات فتاة فلسطينية تعيش في المخيم. واما الفيلم الثاني فكان "رجال تحت الشمس" (١٩٧٠)، وهو يتكون من ثلاثة افلام يتناول كل منها جانبا من جوانب القضية الفلسطينية. وهذه الافلام هي: "المخاض" من اخراج نبيل المالح، و "اللقاء" من اخراج مروان مؤذن، و "الميلاد" من اخراج محمد شاهين. وقد حاز هذا الفيلم جائزة من مهرجان الايام السينمائية في قرطاج عام ١٩٧٠.

ويمتاز فيلم "رجال تحت الشمس" بأنه اول فيلم روائي من انتاج عربي تطرق الى مسألة الكفاح المسلح، بل انه احد الافلام القليلة الروائية العربية التي تطرقت الى هذه المسألة. وهنا نلاحظ ان الافلام التسجيلية العربية الاولى التي عالجت القضية الفلسطينية بقيت بعيدة عن موضوع الكفاح المسلح واجواء حركة المقاومة الفلسطينية، وهذا يدل من جديد على السقف الذي يمكن ان يصل اليه طموح السينمائيين الشباب في ظل الانتاج الرسمي العربي.

وتحكي القصة الاولى من "رجال تحت الشمس" حكاية زوجين يهربان من القرية بعد احتلال الجنود اليهود لها، وتحمل عنوان "المخاض" وتصور بتفصيل عملية هرب الزوج مع الزوجة الحامل، وتنتهي بولادة الزوجة في اثناء الطريق كنوع من الرمز للجيل الاتي. واما القصة الثانية "اللقاء" فتقدم بطريقة عقلانية جدا الفدائي الفلسطيني اثناء احدى عملياته. ويمتاز هذا الجزء بأنه محاولة مباشرة لمخاطبة الرأي العام العالمي واقناعه بعدالة قضية الفدائيين الفلسطينيين من خلال الحوار والنقاش الذي يتم بين الفدائي وفتاة اوروبية سائحة يحتجزها وينتهي باقتناع الفتاة بقضية الفدائي. وفي القصة الثالثة "الميلاد" تركيز كذلك على موضوع الكفاح المسلح من خلال التناقض بين مواقف استاذ مدرسة يؤكد لتلاميذه اهمية الكفاح المسلح وبين افكاره.

واما الفيلم الروائي الطويل الثاني عن فلسطين فكان فيلم "السكين" الذي اخرجه خالد حمادة عام ١٩٧١ عن قصة غسان كنفاني "ما تبقى لكم". غير ان هذا الفيلم لم ينل الصدى الكافي رغم جدية المحاولة، بسبب من مستواه الفني. وكذلك كان الامر مع الفيلم الطويل "ماتة وجه ليوم واحد" (١٩٧٢) من اخراج اللبناني كريستيان غازي، وقد انتجته المؤسسة العامة للسينما بالتعاون مع اعلام الجبهة الديموقراطية. فقد جاء هذا الفيلم ضعيفا من الناحية الفنية ومعقدا من الناحية البنائية والفكرية ومتأثرا ببعض الافكار الثورية التي انتشرت عن السينما في فرنسا آنذاك.

وفي السنوات الاولى من السبعينات انتج ايضا فيلمان قصيران احدهما "الزيارة" من اخراج قيس الزبيدي عام ١٩٧٠، وهو فيلم تجريبي يعتمد على نصوص لشعراء من الارض المحتلة. والفيلم الثاني هو "اليد" الذي اخرجه قاسم حول عام ١٩٧١، وهو فيلم ذو ملامح سريالية يتحدث عن ضرورة الانتماء الى المقاومة. وفضلا عن هذه الافلام انتجت المؤسسة العامة للسينما فيلمين طويلين حققا اهتماما عالميا، وهما "المخدوعون" من اخراج توفيق صالح المخرج المصري المعروف (١٩٧٢)، و "كفر قاسم" من اخراج المخرج اللبناني برهان علوية (١٩٧٤). وقد اقتبس فيلم "المخدوعون" عن رواية غسان كنفاني "رجال في الشمس"، ويحكي قصة الشتات الفلسطيني بعد ١٩٤٨ من خلال قصة ثلاثة رجال، يمثل كل منهم جيلا، يحاولون الوصول الى الكويت بطريقة التهريب بحثا عن العمل وينتهي بهم الامر الى الموت في الصحراء. وفي هذا الفيلم تحليل للاسباب التي ادت الى النكبة ونقد للانظمة العربية وللفلسطينيين سواء بسواء.

واما فيلم "كفر قاسم" فيعيد تركيب وقائع مجزرة كفر قاسم اعتمادا على الوثائق، ويظهر وحشية الجنود الصهاينة بطريقة موضوعية ويحاول ان لا يلجأ الى التاثير العاطفي. وقد اثار فيلم "كفر قاسم" ضجة كبرى على الصعيد العالمي بسبب موضوعيته.

والفيلم الروائي الطويل الاخير الذي قدمته المؤسسة العامة للسينما كان فيلم "الابطال يولدون مرتين" (١٩٧٧) من اخراج صلاح دهني. وهو محاولة لخلق فيلم تجاري جماهيري يحكي عن تشكل وعي طفل فلسطيني يعيش في احد المخيمات قرب غزة الى ان يتحول الى فدائي.

برزت في الساحة عدا هذه الافلام مجموعة من الافلام التجارية التي تصور مغامرات الفدائيين البطولية بطريقة ساذجة تقلد الافلام الامريكية. وهذه الافلام هي: "الفلسطيني الثائر" (١٩٦٩) و "ثلاث عمليات داخل فلسطين" (١٩٦٩) و "عملية شتاو" (١٩٧٠) ومن البديهي ان هذه الافلام التجارية لا تستحق اهتماما خاصا فهي تعبر فقط عن ظاهرة استوعبها الانتاج التجاري بسرعة، وهي تعطش الجماهير العربية بعد

Digitized by Birzeit University Library

عام ١٩٦٧ الى رؤية افلام تصور بطولات الفدائيين الفلسطينيين.

وكان في لبنان ايضا حركة باتجاه اخراج افلام عن القضية الفلسطينية. فقد انتجت جمعية الخامس من حزيران فيلما تسجيليا بعنوان "القدس" (١٩٦٨) اخرجه فلاديمير تماري. كما اخرج كريستيان غازي اول فيلم عربي عن المقاومة الفلسطينية هو فيلم "المقاومة.. لماذا" (١٩٦٩). واخرج جاك ميدفو فيلم "مبعثرون في الريح" (١٩٧٠) واعتمد فيه على رسوم الاطفال الفلسطينيين في مخيم البقعة. كما اخرج سمير نصري فيلما عن الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان بعنوان "الجنوب في براثن الاعداء" (١٩٧٠).

وانتجت السينما اللبنانية التجارية بعض الافلام الروائية الطويلة مثل "اجراس العودة" (١٩٦٩) و "فداك يا فلسطين" (١٩٦٩) و "كلنا فدائيون" (١٩٦٩). هذا بالاضافة الى الفيلم القصير الذي اخرجه كريستيان غازي للتلفزيون بعنوان "الفدائيون" (١٩٦٧)، وهو مقتبس عن مسرحية للكاتب الالماني برتولد بريخت بعنوان "بنادق الام كوراج".

واما السينما العراقية فقد شاركت بنصيب وافر من الافلام القصيرة الروائية والتسجيلية من انتاج المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون ومصلحة السينما. وكانت بداية هذه الافلام مع "مأساة شعب" (١٩٦٨) و "البداية (١٩٦٩) و "فن ومعركة" (١٩٦٩) و "كرة القدم الامريكية" (١٩٧٠)، وهو فيلم يقوم على الرسوم المتحركة. واستمر الانتاج سنويا بعد ذلك. وكل هذه الافلام تسجيلية. واما الانتاج الروائي للافلام القصيرة فقد تركز في مجموعة افلام منها: "زهرة البرقوق" (١٩٧٣) من اخراج ياسين البكري عن قصة لفسان كنفاني بنفس العنوان، و "اللعبة" (١٩٧٣) من اخراج شيراك سورين و "الشتاء المر" (١٩٧٣) من اخراج محمد شكري جميل و "البيت" (١٩٧٦) من اخراج كاظم العطري "والارجوحة" (١٩٧٦) من اخراج نوفل فرحات و "الحقل" (١٩٧٧) من اخراج صبيح عبد الكريم و "انتفاضة" (١٩٧٨) من اخراج محمد منير.

وفي الاردن انتج قسم السينما التابع لوزارة الاعلام مجموعة افلام قصيرة تسجيلية اخرجها علي صيام، وهي "الخروج ٦٧" (١٩٦٨) و "زهرة المدائن" (١٩٦٨) بالاضافة الى الفيلم الروائي القصير "رسالة اليك" (١٩٦٨). واما السينما التجارية فقد انتجت فيلما طويلا بعنوان "الطريق الى القدس" (١٩٦٩) من اخراج عبد الوهاب الهندي.

وفي الجزائر تم انتاج فيلم تسجيلي بعنوان "تقرير المصير" (١٩٧٧) من اخراج فائزة بن سعد وهو فيلم عن حركات التحرر بعامة، بما فيها حركة التحرير الفلسطينية. الفيلم الروائي الطويل "سنعود" (١٩٧٢) من اخراج محمد سليم رياض. ويحكي الفيلم عن معارك الفدائيين الفلسطينيين، غير انه لم يكن بالمستوى المطلوب (٢٥).

ان هذا التعداد الذي اوردناه لا يشمل كل الافلام، وبخاصة القصيرة، التي عالجت الموضوع الفلسطيني بطريقة او باخرى، غير انه يساعدنا على ذكر بعض الملاحظات العامة:

(١) يبقى الانتاج السينمائي العربي عن فلسطين قليلا من حيث الكمية اذا قورن بما للموضوع من اهمية، وينطبق هذا بشكل خاص على الافلام الروائية.

(٢) معظم هذه الافلام كان ضعيفا من الناحية الفنية والتقنية.

(٣) تجلى الاهتمام بانتاج افلام عن فلسطين بشكل رئيسي في نهاية الستينات وبدايات السبعينات، واخذ هذا الاهتمام يتقلص تدريجيا بعد اواسط السبعينات في حين ازداد اهتمام السينما العالمية بهذا الموضوع منذ ذلك الوقت.

(٤) لم يكن انتاج هذه الافلام يخضع لبرامج واضحة لدى مؤسسات السينما العربية، بل كان يتم بمبادرات من المخرجين انفسهم. ومع ذلك فان هذه الافلام لم تخرج في تحليلاتها او مواضيعها عن الحدود المتعارف عليها والمقبول بها رسميا، اي على مستوى الحكومات.

(٥) يلاحظ بالنسبة للافلام التسجيلية انها كانت تستخدم الوثائق السينمائية نفسها بشكل مكرر ودون تمحيص دقيق بحيث جاءت هذه الافلام متشابهة في معظمها الى حد كبير في الشكل والمضمون.

(٦) تغلب على معظم هذه الافلام النزعة العاطفية.

(٧) لم تأخذ هذه الافلام بعين الاعتبار امكانية التأثير في الراي العام على صعيد العالم.

الحواشي

٢١) لمزيد من المعلومات عن الافلام الاجنبية عن فلسطين، راجع: حسان ابو غنيمة، فلسطين والعين السينمائية، ص ٢٣٧.

٢٢) عدنان مدانات، "القضية الفلسطينية تغزو فضاء السينما العالمية"، مجلة الجيل، العدد ١٠/١٠/١٩٨٥، ص٢٦.

٢٣) يوسف اليوسف، قضية فلسطين في السينما العربية.

٢٤) المصدر نفسه، ص٤٢.

٢٥) لمعلومات اوسع حول الافلام العربية عن فلسطين راجع: يوسف اليوسف، قضية فلسطين في السينما العربية.

Digitized by Birzeit University Library

الثمن

حليمة جوهر

شمس كانون تتسلل من وراء الغيوم المتلبدة في السماء.... لتزيل قليلا من صبيب برد الصباح.. وعند محطة الباص كانت تجلس منتظرة مع جموع الركاب أول باص لينقلهم الى المدينة..، امرأة شابة ذات جسم ممشوق وقدّ فلاحيّ جميل.. بشرتها البيضاء الغضة، لوّحتها أشعة الشمس، ويداها النحيلتان كان البرد يسري عبر مسامات جلدهما، فتمددما نحو الكيس الرابض أمامها، تتحسس دفء «شمام» الزعتر والبقدونس القابعة داخله..، فتخرج رائحة الزعتر مهرولة نحو أنوف المنتظرين .

شعور غريب لم تعهده من قبل كان يسيطر عليها، أحست بقلبها ينقبض..تنهدت بمرارة، ووضعت يدها على خدها واسندت ظهرها على مقعد الباص وثمة دموع تسللت من عينيها مستغلة فرصة شرود ذهنها، وهي تفكر بحياتها وبالزمن الذي جعلها تجلس هذه الجلسة:

«آه يا زمن العوز والجوع.. سياطك تنهشني... تعذبني، وأنا أرى احمد وفؤاد يصرخان من ألمهما..، احمد يا قرة عيني، فؤاد يا شرايين قلبي النابضة..، من اجلكما سوف اعمل المستحيل..، ومن اجلك يا ابا احمد.. من اجل ان تنام قرير العين، فاني على العهد باقية، كلماتك الأخيرة لا تزال تطن في اذني يوم امتدت اليك يد الغدر بالطائشة التي اخترقت رقبتك:

- وداعتك الأولاد يا نعيمة... علّميهم.

أعلمهم ؟! وهل نجد الخبز الحاف .. حتى نجد مصاريف المدرسة؟! فؤاد منذ شهرين وهو يسير بحذاء ممزق، وأحمد.، آه ان احشائي تتمزق حين اتذكر ذلك اليوم الذي عاد فيه من المدرسة باكيا:

- امي... لماذا الأولاد يكون معهم ما يأكلونه مع الخبز إلا أنا ؟؟!!

اليوم أشفق عليّ احدهم وأعطاني شيئا، ظننته في البداية حبة بندورة! لكنه لم يكن كذلك، ان طعمه حلو ولذيذ... وبداخله بذور كبيرة.. ما هو هذا الشيء ؟؟ ما اسمه؟! ولماذا لا تشتريه لنا؟!

يومها بكيت كثيرا، ولم أنم تلك الليلة وانا أفكر، كيف لامرأة مثلي لا شهادة معها!! ولا مهنة تتقنها أن تحصل على مصدر لرزقها؟!؟

وكدت أطير من الفرح عندما هتديت: سوف أزرع وأبيع..!! البقدونس والنعناع والزعتر.. نعم هذه أشياء لا تكلف نقودا!! سأشتري حبوب البقدونس من العطار.. وآخذ أشتال النعناع من الجيران أما الزعتر فسأجمعه من الجبال.

تعبت.. نقلت الماء على رأسي واسقيتها ... وأنا أعد الأيام منتظرة نموها وبيعها. الحمد لله، ها هي القطفة الأولى، سوف أدبر أموري فيها. وكما يقولون:«أول الثمار بطول العمار»

سأشتري حذاء لفؤاد والشيء الأحمر الذي يقول عنه أحمد، وإذا بقي معي نقود سأشتري لحمة وخضارا.. لقد نسينا طعمها...

وفي محطة باب العامود تنبهت أم أحمد على صوت الراكب بجانبها يستأذنها بالنزول حملت الكيس على رأسها، وراحت تهرول مسرعة بين جموع الناس المتلاحقة في كل اتجاه.، وبالقرب من البوابة الكبيرة اتخذت لنفسها مكانا بين البائعات. فتحت الكيس واخرجت بعضا من شمام البقدونس والنعناع... كانت تلملم اطرافها، وتنكمش على نفسها خجلا! إنها المرة الأولى ... شعرت وكأنها تستجدي الناس عندما يمر بعضهم غيرآبه بها. بدأ الاحباط يتسرب الى نفسها، شتمت ولعنت الحياة.. وهمت بالنهوض لتعود الى البيت، عندما اتتها اولى الزبونات

- بكم البقدونس ؟؟ هل هو نظيف؟؟.

- والله.. وحياة أولادي انه نظيف.. وما اسقيته إلا من الماء الذي نشرب منه، وتوالى المشترون ينقدونها ثمن البقدونس والنعناع والزعتر.. وهي تدعو لهم بان يجعله الله بالف صحة وعافية. تهلل وجهها وانفرت أساريرها واستبشرت خيرا.

- الحمد لله. ان مع العسر يسرا.. ومن يصبر ينول

وقبل ان تختفي ابتسامتها كان الباعة يتمايحون وكل يسرع في اخفاء بسطته.. وراحت البائعات يحملن اقداحهن واكياسهن ويهربن باتجاه السوق.. ارتعدت أوصالها، وارتجفت يداها خوفا.. سألت.. ما الأمر ؟!! فقيل لها بانها البلدية.. وانا لم تهرب ستصادر بضاعتها وتدفع غرامة!!

حملت كيسها وركضت خلف البائعات.. لم تدر ماذا تفعل؟! واين تجلس؟ لم تكن تعلم ان البقدونس والنعناع من الممنوعات ايضا!! ولو أمسكوا بها من أين ستدفع الغرامة؟! كانت تسير في السوق شاردة الذهن.. وهي تنظر الى الخضار والفاكهة والمأكولات الأخرى وينظفر الذهن.. وهي تنظر الى الخضار والفاكهة والمأكولات الأخرى وينظفر قلبها حزنا لعدم مقدرتها شراء أي منها... وفجأة استوقفتها احدى البسطات.. انه الشيء الأحمر الذي تكلم عنه أحمد.. مدت يدها تحسسته،وجاءها صوت البائع من الداخل :

- تفضلي يا أختي، كم كيلو تريدين ؟؟

Digitized by Birzeit University Library

تلعثمت، ارادت أن تهرب، إلا أن الحاج البائع شجعها بان تسأل:

- بكم كيلو البندورة؟

- بندورة؟! تريدين بندورة أم كاكا؟!

- أريد هذا ما اسمه؟؟

- هذا اسمه كاكا! أول مرة ترينه؟! الكيلو بخمسة شواقل.

تنهدت بصوت مسموع وقالت:

- بثلاثة! فكل ما املكه هو خمسة شواقل!.

- يفتح الله.

- اذا زن لي نصف كيلو.

- نصف كيلو؟؟! نحن لا نبيع انصافا.

أطرقت رأسها .. مسحت دموعها... وابتعدت عن عيون البائع التي راحت ترمقها حتى اختفت.

لفت أم أحمد الأسواق واحدا بعد الاخر، دخلت المطاعم وباعت البقدونس والنعناع . وقبل العصر كانت تغذ الخطى مسرعة نحو محطة الباصات الجديدة ٠٠ وهي تتحسس بين الفينة والأخرى كيسها المتقلص وقالت في نفسها بقرح:

- الحمد لله: أول الغيث قطرة.. ها أنا عرفت طريقي الى السوق.. لن نحتاج بعد اليوم شيئا.. كم ستكون فرحة احمد وفؤاد كبيرة عندما يريدان ما أحضرته لهما.

وعلى أحد المقاعد حطت رحالها وجلست تنتظر قدوم الباص الوحيد الذي سينقلها الى القرية. وفي غمرة فرحها .. لفت انتباهها قهقهتهم ... ثلاثة مدججين وقفوا ليس بعيدا عنها ... كان احدهم ينظر اليها نظرات ارعبتها ... ارتعدت خفق قلبها بين ضلوعها خوفا. لملمت نفسها وانكمشت في زاوية المقعد، تذكرت قول جارتها ناصحة اياها:

- ديري بالك على حالك يا أم أحمد، فانت لا زلت شابه جميلة وأولاد الحرام لم يتركوا لأولاد الحلال مطرح.

مدت يدها المرتجفة الى رأسها.. تحسست شعرها واخفت ما ظهر منه تحت منديلها..امسكت بطرف ثوبها وجذبته الى الأسفل لتتأكد ان ساقيها ايضا غير مكشوفين. ابتسم الوغد لحركتها وخطا يقترب منها:

- يا الله.. اني دخيله عليك ابعد شر أولاد الحرام عني.

اقترب منها.. قالت في نفسها: ربما يريد ان يرى ما في الكيس، فهم دائما يخافون من هذه الأكياس .

- سوف اخرج له كل ما في الكيس عسى ان يكف شره...

الثقطت حبة كاكا.. ارادت ان تريه اياها وتقول له ان احمد اشتهاها فاشتريتها له.،، وهذا حذاء لفؤاد .. وهذا....

إلا ان أحدهم لم يمهلها... ولم يسمعها أحد ... ارتدت كلماتها الى جوفها ... الى قلبها الذي تمزق.. رفعت يدها القابضة على حبة الكاكا... تحسست مكان الجرح ... وهوت عن مقعدها مدت يدها بحبة الكاكا المغموسة بدمها .. وقالت : ها.. ذ..ه.. لأ.. ح..ح.. م ... د .....

ولفظت انفاسها الأخيرة،، بينما راحت حبة الكاكا تتدحرج في عرض الشارع. وفي المساء جاء في نشرات الاخبار : مقتل امرأة حاولت الاعتداء بسكين على أحد الحراس في باب العامود

صبحي حمدان
و
الطفل والدوري

صدر مؤخرا عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين مجموعة قصصية جديدة للكاتب صبحي حمدان بعنوان « الطفل والدوري » تقع المجموعة في ٧٩ صفحة من القطع المتوسط وتضم ١٠ قصص ، وقد اهدى الكاتب مجموعته القصصية الى ولده الذي تحمل كثيرا ٠

الجدير بالذكر ان الكاتب ولد في مدينة خانيونس عام ١٩٤٩ ، وهو من قرية السوافير الشرقي قضاء المجدل ٠

هذا بالاضافة الى انه من اوائل من كتب القصة القصيرة في قطاع غزة بعد حرب حزيران ١٩٦٧٠

بدأ نشر قصصه في اوائل السبعينات في الصحف والمجلات المحلية ، حيث اعتقل عامي ١٩٦٨ ، ١٩٨٠ قرابة عشرين شهرا ٠

ويذكر انه يعمل مدرسا في المدارس الحكومية في قطاع غزة ، حصل على بكالوريوس الآداب ٠ جامعة الخليل الوطنية عام ١٩٨٧ ٠ ونشر مجموعته القصصية الاولى "عرس الجماجم" عام ١٩٨٣ ، وهو يعمل الان على انجاز رواية تعالج واقع شعبنا في ظل الانتفاضة ٠

Digitized by Birzeit University Library

الروح والقنينة

جمال زكي القواسمي

كانت ليلة، تمدد كل منا فيها على برشه، اتقاءا من البرد، ولأن ليس ثمة قمر يظل علينا يسلينا في ليلنا، انبعث، ككل ليلة، وهج الذكريات والاحاديث. كانت ليلة متميزة، ليلة توعد بانبثاق الفجر والضياء، وفي صباح اليوم التالي لتلك الليلة، كان موعد الزيارة التي ننتظرها لرؤية الأهل والاحبة. وفي تلك الزيارة اتجلى لي شيء خاص له دلالة كبيرة لشخص احبه واعزه، ولوطن انتمي اليه، على اية حال، رواية القصة كما حدثت وانا شاهد عليها لكفيلة على ايضاح المعنى الذي تنشدونه.

في تلك الليلة، كنا نعلم أننا يمكن ان نمتنع عن رؤية احد من اهلنا، اعتصاما مع الانتفاضة التي تجري في كل المخيمات والمدن والقرى في كل مكان.

- "انها ليست مجرد انتفاضة!" قال صلاح، ابو محمد، وهو من اقدم المناضلين الاسرى، اعتقل كثيرا لمحكوميات متفاوتة السنوات بالاجمال قضى في السجن سبعة عشر عاما، الامر الذي جعله بصيرا بالامور، "انها ثورة! الثورة التي ستحطم جدران السجن الذي نعيش فيه والتي ستؤدي الى اقامة دولتنا".

- نعم، انها ثورة وتحول كلي! "قال ايمن ذو السابعة عشرة عاما، كان قد قيد الى هنا السجن، والى قاووشنا، قبل يومين فقط، كان شابا وطنيا متحمسا، وكان انسانا رقيقا طيب القلب، ورغم انه كان ضعيف البنية، وشاحب الوجه وهادىء جدا، فقد كان قوي الارادة وعنيد وصلب جدا، ولأنه كان يتحدث، في تلك الليلة، بعاطفة وعقلية لم يرها احد منا من قبل، ربما لاننا لم نر بأم اعيننا عقلية الشبان من امثاله في خارج السجن في ظل الانتفاضة، فقد اخذنا نستمع اليه باهتمام واصغاء شديدين.

- "كل الشباب الذين كنت اشك بانهم وطنيون، كان جميعهم في المظاهرات، في باب الساهرة، وشارع صلاح الدين، وحارة النصارى، وحارة السعدية .. و... وحتى الكبار كانوا يدركون ما نواجه وما نعيشه" صار الجميع يعرف معنى الثورة، ونسي كلهم كلمة "انتظار"، الكلمة التي حاول كثير من الفدائيين ان يحطم غلافها الزجاجي الهش، وانا كانت هذه الزجاجة قد انشعرت او حتى كسرت خلال العقدين الماضيين بفضل العمل الوطني، فقد تهشمت كليا وتحطمت اربا مع اندلاع الانتفاضة، وحينئذ خرج من قمقمها كثير من الامال المحبطة والارواح المهزومة، هكذا كانت روح والدي ... كان والدي من اولئك المسجونين في زجاجة، زجاجة الاحلام والذكريات، الرافضين قبول الواقع والقانعين بالاستسلام والخنوع للضعف والهوان، كانت زجاجته دوما في يده محصورا فيها، لكني فجرت الزجاجة، وجعلت منها وسيلة دفاعي عن الحلم الاكبر، حلم التحرر والدولة ولمّ الشمل، ورفضت ان تكون الزجاجة وسيلة هروب للذكريات والتقوقع ورفض الواقع، كان ابي روحا مهزومة، روحا لم تكن تستطيع رؤية العالم المحيط بها، رغم ان الزجاجة شفافة في نظره، لم يكن العالم الخارجي سوى ضباب، كان بمقدور روحه ان تخرج من الزجاجة، كان بامكانها ان تحطم القنينة، لكنها في داخل القنينة، شعرت بالامان الكاذب وعاشت ذكريات الماضي التي لن تعود، هكذا على الاقل روح ابي، لم يكن ابي يدري ان ارواحا شابة تكسر الزجاج وتفجره، لكنه تعلم مني، من ابنه ...!.

انا لم المّ والدي يوما قط، كان مثل كثير من الناس، وكانوا بحاجة لاحد ما يخرجهم من القنينة التي وضعوا انفسهم فيها، اعتاد على الزجاجة، فسكر وسكر وسكر بنشوة الهزيمة وسكرة الذكريات التي لن تعيد تلك الايام السعيدة.

من المؤكد ان ما خارج الزجاجة مليء بالقسوة والغرابة، انه واقع قاسي وصعب، لكنه احتلال. صحيح انه لم تعد تلك الحارات والوجوه وحتى النسمات التي فقدها وهو في السنة الثامنة من عمره، والتي كان يحلم باسترجاعها يوما ما، لكن لم يعمل شيئا لاسترجاعها، الحروب المتلاحقة والهزائم المتلاحقة جعلت آماله تتناقص وتتلاشى، واغرقته اكثر فاكثر في سكرته واحلامه، لذلك لم يكن لديه حل سوى الزجاجة والكأس، كم اشفقت عليه، دائما اراه مخدرا، لم يعد يريد ان يرى بلده، وبلده وبيته. اراد دوما ان يكون مخدرا وسكرانا، كأنه يحن للماضي، لوجوه الماضي، لذكريات الماضي، لطفولة الماضي، حينما يكون سكرانا يعن على باله ان يتكلم، فيحكي عن الماضي والبساتين في حيفا والكرمل، عن بيت جدي، عن البحر والامواج والسفن والميناء، عن ليالي السمر، كنت دوما احاول ان اتخيل ما يقوله، لكنني ابدا لم اكن استطيع ان ارى ما كان ابي يراه وهو في سكرته، كان الشيء الوحيد الذي كنت اتذكره منذ طفولتي هو رؤية جثة عمي عزام، انئذ سألت ابي لماذا لا يتكلم عمي، فقال وعيناه غائرتان، "عمك قتلوه! لانه غبي، غبي!" وحينما كبرت، عرفت ان عزام نفذ عملية مسلحة، وكسر الزجاج الضبابي الذي شل قدرة الناس عن المقاومة واشعرهم بالغربة والوحدة الموحشة والعجز واذكر مرة ان

Digitized by Birzeit University Library

دخل الجنود بيتنا وفتشوه، وضربوا ابي، وهو يصيح فيهم، "انا رجل محترم: انا اعمل لديكم في تل ابيب! انا عامل محترم ! اسمعوني ... " واعتقلوه مرة لمدة ثمانية واربعين ساعة، لكن ضباب الزجاج الذي كان يغلفه ازداد حوله، كان يقول انهم، "اقوياء ... امريكا داعمتهم ... حتى الله معهم، كيف بدك ينهزموا؟".

في الزيارة السابقة قالت امي انه بعد اعتقالي قد تغير كليا، وان الزجاج الضبابي قد تحطم، حتى انه توقف عن الشرب. لا استطيع ان انسى كيف اعتاد ان يدخل البيت، في ساعة متأخرة من الليل وهو يحمل زجاجته التي لا يستطيع ان يتخلى عنها، وحينما لم يكن يستطيع ان ينفس عما يغضبه او يتفشش بشيء ما، فكان يحطم الزجاجة الفارغة عند الباب، معلنا انه لن يخرج ابدا من البيت الزجاجي، كثيرا ما كنت اراه يترنح في الطريق وهو مخمور وهو عائد من العمل في اسرائيل، ويفرق اللعنات والنكات هناك وهناك، لهذا وذاك، لم تكن الدنيا لديه سوى سكرة او حلما من احلام الليل واشباحه، اشباح الماضي وذكريات الامس التي لاحقته دوما ... ذات يوم، عاش في بيت وحوله بساتين البرتقال وحوانيت جده ... ذات يوم .... ذات يوم ... اما اليوم فهو منفي، لا يعيش الا في زجاجته ... وعندما يفيق، لم يكن يرى سوى ازقة القدس الحزينة، وجدرانها ودكاكينها الشاحبة، واطفالها الذين تربوا على رؤية الجنود يخوذهم ومرواتهم واسلحتهم. لم يكن يطيق رؤية ذلك. لم يحتمل واقعه ابدا. لذلك لم يكن على لسانه سوى رقي التحضر وجماله في المدن الاسرائيلي التي كان يعمل فيها.

- اتعرفون؟ لقد صعدنا في (الأسانسير) ... يا ويلي ... اية أبهة! أية راحة! كان يقول لأهل حارته من الرجال والشبان اللذين يحبون ان يستمعون اليه. كل شيء يلمع مثل الذهب ... امّا ....

كان حديثه المتواصل عن تحضّر اسرائيل وبريق شوارعها وجها آخر لهروبه من الحاضر والواقع، تماما مثل ادمانه على الزجاجة! سكت، ربما ليأخذ نفسا عميقا؟

-ولكن كيف حصل التغير في (والدك) يا ايمن؟ سألته.

- كانت احداث الانتفاضة تعمّ المخيمات والمدن والقرى في الضفة والقطاع، وكان لا بدّ ان تصعّد الوضع في القدس. اتعرفون ما حصل؟ بعد العملية المسكوني، مع بقية المشبوهين، نصبونا على الحائط ووجهنا اليه، وامرونا ان نرفع ايدينا فوق رؤوسنا. كان الليل قد خيّم، وخلى باب العامود من المارة وفجأة، ونحن ننتظر سيارة البوسطى لتقلنا الى المسكوبية، سمعت صوته. كان سكراناً، كعادته، مترنحا عند بوابة باب العمود، وهانيا بكلام مختلط غير واضح انئذ سمعت الجنود يتراكضون هنا وهناك، ربما للحيطة والحذر، ورأيت بطرف عيني بعض الجنود يهرولون نحو بوابة باب العمود الضخمة، تاركين الجنديين المصابين، ومتجهين نحو صوت ابي، وصرخ احد الجنود قائلا، "يش لو بكبوك اخرا"(١) وسمعتهم يجرونه، وددت لو اهب لابعدهم عنه، لكن لم يكن بمقدوري فعل شيء، كانوا ولا شك يدركون انه سكران، لكنهم استمروا في جره، وهو يصرخ بهم قائلا انه رجل محترم، واوقفوه معنا، واتت دورية راجلة كثيرة الجنود وقادونا نحو سيارة البوسطى التي توقفت عند موقف التكسيات، وفي سيارة البوسطى كان ابي يجلس امامي، كنت قد طأطأت رأسي لكي لا يراني، لانني خفت من شيء ادركته انئذ ولم اكن قد حسبت له حسابا مسبقا، وكان الخطأ ان الزجاجة التي استعملتها كانت لابي، لكنه حينما بدأ يصيح: "انزلوني! انا رجل محترم! انا عامل !" ضربه احد الجنود في بطنه بكعب البندقية، فرفعت رأسي لاطمئن عليه واخذت انظر اليه وهو يتألم، كان انئذ قد فتح عينيه ورآني، وامتلئت عيناه بالدموع، قال: له عيناي. لا تتكلم، لا تقل شيئا، لكنه فجأة قال بخوف واهتمام شديدين لم اراه يبديهما من قبل، "يا كلب، ماذا تعمل هنا؟" ثم فاضت دموعه المليئة بالقلق، وخيل لي ان دموعه تحمل صورا مؤلمة وقاسية، وفيها عمي عزام، صورا ما كانت لتخرج من عينيه الضبابيتين، وما كان هو ليتذكرها لولا وجودنا، نحن الاثنان، هناك في جحيم سيارة البوسطى الكبيرة، كدت ان اقول له، اتى بي الى هنا اولئك اللذين خدروا بك كل مظاهر الحياة! "لكني لم اقل شيئا، ظل يسألني" ماذا تعمل هنا يا كلب؟" ... "ماذا تعمل هنا؟" ... "ماذا ..." واطعمه الجنديان اللذان معنا ضربا موجعا، بقبضاتهم وكعبي بندقيتيهما، وفجأة، ودون توقع، وقلبي يتمزق الما وحزنا وانوح نوح الاطفال، نظر الى بجدية، واحسست بانه خائف علي، ووثب علي يحضنني، كانت اول مرة منذ سنوات يحضنني فيها، ورغم ضربهم وتعنيفهم همس في اذني، "انت مثل عمك!" وكأنه قد ادرك انني المسؤول عن الزجاجة الحارقة. "خليك قوي مثل عمك! لا تخف! انا فخور بك ... انت حطمت من حولي ما لم استطع تحطيمه منذ عشرين سنة!" قال لي وعظامه تقرقر من الضرب كان الخطأ الذي ارتكبته قد اتى، على كل حال، بمنفعة لا تقدر بثمن؛ فقد اعاد الي ولنا كلنا ابي الذي لم اكن احلم ابدا برؤيته على صورة اخرى غير التي كنت متعودا على رؤيته بها، كان هناك في "البوسطى" جندي تنبه للحرارة التي تكلم بها ابي، واعلم مسؤليه بذلك، وعند وصولنا المسكوبية، اقتادني الى غرفة وانا مقيد اليدين ورأسي ملفوف بقطعة خيش كريهة الرائحة، ثم انهالت علي الركلات واللكمات من كل اتجاه، واخذوني للتحقيق، ابتسم المحقق، وضربني بامعائي لكمة اسقطتني ارضا وقال، "لماذا تلقي مولوتوف يا

(١) " لديه زجاجة اخرى !"

Digitized by Birzeit University Library

ابن الحرام؟" قلت انني لم افعل، قال ان الزجاجة التي استعملت في العملية هي من نفس الزجاجة التي كان بحوزة ابي حينما اعتقلوه، واقترب مني، "اليس والدك ذاك الذي كلمك في السيارة؟" صرخ في ثم ركلني في امعائي. قلت، "لا اعرف شيئا!" وامتد اعتقالي من اسبوع لآخر، مرة جاءوا بابي وضربوه امامي، وتركوه حينما ادركوا انني لن اعترف، واخيرا قالوا انهم وجدوا ادلة، لا اعرف كيف حكموا علي، كانت مسرحية، والان ها انا هنا!" قال ايمن في تلك الليلة، ليلة الزيارة، واستمر حديثنا الى ان شعرنا بالتعب فنمنا لنستعد في الصباح للزيارة.

كنت مهتما بأيمن، وانه الدم الجديد في عروق امنا الارض وشرايين الثورة وكنت تواقا دوما لمعرفة ابعاد شخميته، ولا بد ان اعترف انني كنت متلهفا لاعرف والده واتعرف عليه مثلما كنت متلهفا لبناء علاقة صداقة واخوة مع ايمن، وكنت محظوظا في صباح اليوم التالي، يوم الزيارة، لان اهلي واهل ايمن قد دخلوا معا الى غرفة الزيارة فتمكنت من رؤية والد ايمن، اما ايمن فقد كان شديد السرور لانه راى ابيه لأول مرة وهو في السجن بعد محاكمته، وانا شعرت بسعادة بالغة حينما رأيت زوجتي وابني واخي؛ ورغم ذلك فقد فترت رغبتي بالحديث، وامضيت الوقت وانا انظر نحو زوجتي واخي وابني البالغ من العمر ست سنوات، وهم يتكلمون ويضحكون، بينما كنت استمع الى ايمن ووالده ووالدته، ولانني كنت ارى زوجتي واهلي مرة كل اسبوعين طيلة السنوات الثلاثة الماضية، فقد اقتنصت فرصة لقاء ايمن بابيه واخذت استمع لاحاديثهما بكل لهفة وشوق، لم ار ايمن من قبل يتحدث بالحرارة والتأثر اللذين تحدث بهما مع والده، ارتحت لرؤية والد ايمن، الذي كان طلق الملامح، ومن عينيه يشع الامل والبساطة والصبر، سأل ابنه عن احواله، وعن السجن، وعن التعذيب، وعن الاسرة، وعرفني ايمن بابيه، وعرفه بي، واتسعت الفرحة حينما تعارف اهلي واهل ايمن، وراح والد ايمن يخبر ايمن عن اخوته واخبار الحارة وتحيات الجيران والاصدقاء والاهل، ووجدت نفسي ابكي، ابكي حقا، حينما تشبثت يدا والد ايمن بالحاجز الشبكي الذي يفصله عن ابنه الاسير، وهمس لابنه، "كنت دائما اقول ان عزام بقي منه شيء منه، لكن لم اكن اراه، والان عزام امامي!!!".

- "عزام لن يموت ابدا!".

- "اتعرف؟ طوال السنوات الماضية كنت سكران، مثل الفراشة في شرنقة، او مثل الروح في قنينة ... لكن انت يا ابن الاحتلال، انت فتحت عيوني!" رايته ينتحب، وكله اثارة وعواطف جياشة، وكنت ارى يدي ايمن وهما تحاولان ان تخترق الشبك الحديدي لتلمس يدي والدي.

- "على فكرة، ابي من الممكن، الا نراكم في الزيارة القادمة، يمكن ان نعلن اعتصاما عن رؤية احد، تضامنا مع ظروف اعتقال شبان الانتفاضة ومع الانتفاضة." قال ايمن وهو يهز راسه مطمئنا امه واليه.

- "ذكرتني ان اقول لكم ان الوضع في الخارج مشتعل جدا ... مظاهرات في كل مكان، في المخيمات، في كل القطاع والضفة، مدن وقرى ... المدارس والجامعات مغلقة ... ووالدك مثل كل العمال مضرب عن العمل داخل اسرائيل في الثلاثة ايام القادمة ... غدا، غدا حينما تخرج، حينما يخرج كل المساجين، وحينما يحمل كل واحد منا الحجر والرفض بالخنوع، مؤكد اننا سنعيد ايام السمر ... انظر سيكون الاحباب قد عادوا من عمان وسوريا ويلتئم الشمل ... سيأتي الغد ... انه قريب جدا! لكن علينا ان نفهم ان من المستحيل ان نعيد كل ذلك بالاحلام ... هذا مستحيل! امم شيء علينا ان نفعله الان هو ان نتخلص من بقايا الضباب الزجاجي الذي يجمع حول عيوننا مثل الرمد طوال عشرات السنين ... وهذا لن يتم الا اذا واجهنا قساوة وضعنا ... نحن الان في ... ثورة ... في ثورة!!!" قال والد ايمن وعينيه حمراوتان تفيضان بالدموع، ثم ابتسم في وجه ابنه، وهز رأسه كأنه يشجع ايمن، اما ايمن فقد رفع رأسه واطلق ضحكة انتصاره وعند عودتنا الى القاووش، بعد انتهاء الزيارة اقترب ايمن مني في الممر الضيق، ووضع يده اليمنى على كتفي الايمن ونظر نحوي وهو دامع العينين وقال، "هذه هي روح ابي التي خرجت من القنينة! هذا هو التحول الجذري الذي قصدته ليلة امس، هذه هي الثورة!!!".

Digitized by Birzeit University Library

مرثيّة حُبّ لأمّ آدم

شعر / عبد القادر العزة

١٩٩١/١٠/٧

وجودي ·· وجودُكِ يا أُمَّ آدَمْ

فأنتِ المليكةُ ·· إن تسقُطِ الجمراتُ عليّ ··

على بُعْدِ تيجانِهِمْ أتهاوى ·· ولستُ بنادِمْ

سلامٌ على حارةِ الطيّبينْ

سلامٌ على من تطوّعَ ·· فاختارَ قطفَ الورودِ بطول السنينْ

وقد فَقَدَ العُمْرَ في رحْلةِ العُمْر ·· بين الأرامِلِ والميّتينْ

أيا وطَنَ البعضِ والكُلّ ·· يا خَيمةَ الصيفِ للهاربينْ

سلامٌ على زمْرَةِ المخلصينْ !

« ونيرونُ » يحرقُ ذاتَ الإلهِ ويحرقُ روما على اللاعبينْ !

فيا أمّ آدمْ !!

تقادَم عهْدُ اللقاءِ تقادَمْ

صَرَمْتِ حِبالَ الوصالِ الحنانِ ·· صرمْتِ التّفاهُمْ

ركعْتِ على قدَمِ السافلينْ

وكُنْتِ العفيفةَ ·· كُنْتِ الشّريفَةَ يا أمّ آدمْ؟!!

عروسُ الدّياناتِ تتلو الفواتِحَ ·· ترنو ومقْلتُها غائِمَةْ

تُناجي حُداءَ المُسافِرِ بيْنَ البوادي بصرختها الهائِمَةْ

أيا وطنَ النّفْسِ ·· كيفَ اللقاءُ مَعَ الجيلِ في حِقْبةٍ قادِمةْ

إذا ما التّواريخُ بانَتْ على ليْلِها المُتمطّي ··

وطالَ انتظارُ المواسِمِ للقطفِ ··

ما أُثْمَرَ الطّلْعُ ·· ما فُجّرَ النبْعُ ··

والصّوْتُ ضاعَ بُوادٍ بعيد

وعادَتْ جموعُ الذّين بصَيْدِ البحارِ ··

Digitized by Birzeit University Library

يُنادونَ دهراً بلاَ شَبَكٍ نادِمَةْ !!

وعادَ الأَسيفُ على مِقْوَدِ الدّهْرِ يغفو .. وصحْوَتُهُ حالِمَةْ

يلوُكُ على أسَفٍ في الفؤادِ بقايا مرارَتِهِ العارِمةْ

وأسرابُ غربانِ تلك الصّحارَى .. أراها تجوبُ السّما حائِمةْ

تُفتّشُ بين خفايا الكلام ..

وبين الرّكامِ وبين الحُطامْ

وتبحثُ عن جُثّةٍ وارِمَة !!

أعودُ لأسألَ .. يا أُمّ آدَمْ

لماذا تزايَلَ فيكِ الصفاءُ .

تغبّر وجْهُكِ والجوّ قاتِمْ

وحتّامَ تنْغلِقينَ عليّ .. تنامِينَ والكلّ حَوْلَكِ نائِمْ

إلى أيّ عَهْدٍ يموتُ ضياؤُكِ

والرّكْبُ يسري مَعَ الليّل ساهِمْ

فمعذرةً منْكِ يا أُمّ آدَمْ !!

بكيتُ .. ولكن هُو الطِفْلُ فيّ .. يعودُ لأيّامِهِ السّالِفَةْ

يرِفّ الحِمامُ على جانِبيْهِ ويغفو .. ونظرتُهُ خائِفَةْ

وعِند الصّباح ..

يهيمُ بِعِزّتِهِ حيْثُ تُشْرِقُ شمسٌ لَهُ زاحِفَةْ

ليحْمِلَ أقلامَهُ والدّفاتِرَ .. يهفو لمدْرسَةٍ عارِفةْ

تطيبُ المشاويرُ بين الحقولِ وتبقى عرائِسُها واقِفَةْ

تُزَغْرِدُ فيها العصافيرُ .. تلهْو فراشاتُها الراجِفَةْ

فكيف أريجُ العطورِ يموت على الزّهْرِ إن حَرَكَتْهُ النّسائِمْ

لقد كان فيكِ المغانِمُ والنّبْضُ .. أصبحْتِ نهْباً ومِنْكِ الغنائِمْ

Digitized by Birzeit University Library

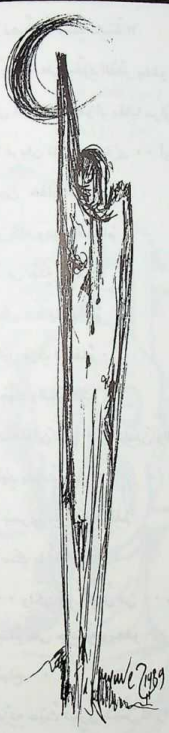

عَجِزْتِ عن القولِ في أيّ شيءٍ يُعيدُ النَخيل ٠٠ وأنتِ المعاجِمْ

عَجِزْتِ عن الإرتقاءِ لِسُدّة مِنبَرِنا ٠٠ إذْ لِسانُكِ واجِمْ !

صبَغْتِ السّمارَ لِهُدْبِ العيونِ ٠٠ بمُستَوْرَدِ اللّوْنِ ٠٠ واللونُ فاحِمْ

قَلَبْتِ الكحيلَ الجميلَ اللّمى المُستحَبّ بلوْنٍ نجيع البراجِمْ !!

مَسَحْتِ القديمَ الأصيلَ على صفحات المُتَرْجِم ٠٠ بئسَ التّراجِمْ

كساك خمُولُ العزيمةِ طِمْراً يموتُ عَليهِ جميلُ النّظائم

فلوْ عادَ قَيْسٌ يُغازِلُ عينيْكِ يوماً ٠٠ لماتَ هديلُ الحمائِمْ

وحَقّكِ أشتاقُ يا أمّ آدَمْ !

غفوْتُ ٠٠ فشاهدْتُ أنّ " أبنَ حمدانَ " يُؤسَرُ في غزْوةٍ رائِدةْ

و " أحمَدَ " في خيل سيفِ السيّوفِ يُمَجّدُ حملتَهُ العائِدةْ

على ظَفَرٍ بالطّوائف باتْ

وَأصبَحَ في عَوْدةٍ راشِدَةْ

فماذا أقولُ إذا الشّعْرُ ماتْ

وضاعَتْ قوافِيَهُ الشّارِدةْ ؟

وماذا أُلَمْلِمُ فوقَ الهضابْ ؟

إذا الشّمسُ غابَتْ ٠٠ ولمّا تَعُدْ عينُها واقِدَة !

فطُهْرُ القوافي يفوتُ ٠٠ يموتُ ٠٠ بلا المجدِ أو عينِهِ الرّاصِدَةْ

وتخبو المعاني ٠٠ !

على ظُلُماتِ انهيارِ الكرامَةِ في أمّتي الراقِدةْ !!

وأنْشُدُكِ العُذْرَ ٠٠ يا أمّ آدمْ !

فماذا نُريدُ من الجِسمِ إلا انتقالَ الحياةِ ٠٠ ويغدو تُرابا

سوى رجْعَةِ الفِكْرِ عند امتلاءِ الدّماغِ ٠٠

وحَالَ الجميعُ سَرابا !!

يعودُ نباتاً لِبذرِ النّماءِ ٠٠ إذا ما أهَلّتْ سماءٌ ربابا

سوى فَرَحِ الرّوحِ ٠٠ حين يعاوِدُها الشّوْقُ

تُنشِدُهُ لوْعَةً وأكتئابا !!

سوى طرقةٍ ٠٠ عِنْدَ بابِ المجاهيلِ ٠٠

تبحَثُ عن رجْعةٍ في صدى القلبِ باباً ٠٠ فبابا !

Digitized by Birzeit University Library

وماذا سوى بُنيَةٍ للكنَائسِ أو لِلْمَآذِنِ تُعْلِي القِبابا
وليتَ الشّموسَ غَدَتْ كالظّلالْ !

وكيف يسوقُ السحابُ سحابا ٠٠ !
لكنْتُ أرى في السّرارِ الهلالْ !

لماذا أكفكفُ دمعي الحزينْ ؟
بكيتُ فراقكِ يا أمّ آدمْ !

وهذي الجموعُ ترفرفُ مثل حمام البراري ؟!
حزِنْتُ لصَمْتِ العذابِ الثقيلِ

ولاتعلمُ الطّلْقَةَ الحارِقَةْ
متى تفتحينَ قبورَ الجموعِ لصاحِبِ أيْكٍ وحامِلِ خاتِمْ

وفيروزُ داري ٠٠ يضيعُ يضيع ٠٠
كَرِهْتُ فصاحَةَ قيْسٍ وَعَمْرو

وأغرَقُ في لُجّةٍ حارِقةْ ؟!
وحِلْمَ إياسٍ ٠٠ كَرِهْتُكَ حاتِمْ !

وأسْلِمُ روحي على رغبةِ الموْتِ مني ٠٠ كما انتحرَتْ مارِقةْ !
ورثتُ العُلومَ وطالَ سُباتي !

لماذا تُهالُ عليّ الرّمالْ ؟
وأجْتَرّ نفسي ٠٠ فجَفّتْ لَهَاتي ٠٠ ولَسْتُ بعالِمْ

ويذوي على شفتيّ السؤال ؟
إذا لمْ أواصِلْ علومي انتهيتُ ٠٠

وأدْفَنُ في رغبتي الصادِقةْ ؟
إذا ما تعالىَ البناءُ ٠٠ هَوَيْتُ !

وأُنْسَى على الدّربِ عِنْدَ المَسَارِ ٠٠ !
وما نَفْعُ جَدّي ٠٠ وتلْكَ المعالِمْ ؟!

إذا انْطلَقَ الموكِبُ الآنَ بين الرّياضِ ٠٠ !
تباركَ موتُك يا أُمّ آدم !!

وحَطّ الرّحَالَ على الشّارِقةْ ؟!
لحقْتِ بسالِفِ رُمْحٍ وصارِمْ !

وسرّ الإلهِ يقولُ الكثير ٠٠ !
وعَهْدِ لخيلِ الغُزاةِ تقادَمْ !

وأجْمِلْ بسِرّ الرّؤى الغارِقةْ !
وهيّا ارْفُلي في خفيف الرّمادِ

فكيفَ يكونُ الصعُودُ من الغَوْرِ نحوَ الجبالْ ؟!
تَطايَرَ عن بعْضِ تلْكَ النسائِمْ !

وكيفَ يُطالُ بعيدُ المنالْ ؟
فعيبٌ عليك ضجيج الرّعود !

وكيفَ ارتَقَى أعْرَجُ القومِ نحو الأعالي ٠٠ ؟
ووصْمَةُ ذُلٍ تحَدّي الجمود !

وجاءَ بدونِ حِبالْ ؟!
وعارٌ عليك انْهمارُ الغمائِمْ !

وكيف الشّهيدُ انْتسَى ٠٠ ثمّ زالْ ؟!
تباركْتِ في حُسْنِكِ المستفيض

وكيف أموتُ بداءِ الكَلالْ
ألا تشعرين بثُقْلِ العمائِمْ ؟

فياليْتَ أن النّخيلَ خيالْ !
وهل ترتقين مع المكرُمات لرأسِ السّلالِمْ

Digitized by Birzeit University Library

أمِنْ خُبْزٍ جاري ٠٠ سأكلُ عُمْري وأبقى أُقاوِمْ ؟
وما نَفْعُ مَنْ ماتَ والدّهرُ يزهو بأيّامِهِ ؟
إذا الوارثُ الغَدْ نامَ طويلاً
وأسْبَتَ في صُبْحِهِ ٠٠ والعُلا تتزاحَمْ !؟
لماذا تُحاصرُني فِكرتي ؟
وأسْجَنُ بين خيالِ الشّعور ؟
فأفتقِدُ الحِسّ كالميّتينْ
وتصحُرُ الرّقاتُ وأقدامُها في النّيازِكِ تَسعى ؟
تضُجُّ القبور ؟
فتصْطَرِعُ الأرضُ في غَضْبَةِ الموتِ ٠
والموْجُ يخْفي عن السّيرْ نحو الشّواطِىءِ في ليْلِ نور ؟
واستحْضِرُ الرّوحَ عند احْتِلامي على بُعْدِها ٠٠
في سماءِ الوجُودِ بِحَرْقِ البخور ؟
وأسْمَعُ في نأمَةِ الليل ٠٠ قهقهةَ الضّاحكين بقَيْضِ حُبوز ؟
لماذا يُعاضِبُني المستحيلُ ٠٠ ؟ يفُتُ بعزْمي فأُبدّي الفتورْ
أشيحُ بوجهي ٠٠ إلى الخلْفِ أنْظُرُ ٠٠ في مُقْلتَيّ تُطِلّ العصورْ
هنا ٠٠ ياهنا ٠٠ كان صقرٌ عنيد
هنا كان ثَوْرٌ ومَرْتعُ غيد
هنا كان حُبٌ ؛ وحَمْراءُ تبْغُتُ لُؤلؤَ صَدْرٍ ٠٠ قِلادَةَ جِيدْ
هنا كان شعرٌ وريْحانُ عِطرٍ وَطلعُ نضيدْ
هنا ٠٠ كان فِكْرٌ وفلسفةٌ للزّمانِ أضاءتْ
وظلّ هنالكَ قَمْرٌ مَشيد
تعالى المُوَشّحُ بين الرحابِ

وفي القَصْرِ يعذُبُ يا ابن الوليدْ
هناك أبن زيدونَ يغزلُ بيتَ القصيدْ
وولّادةُ في بهاها تناهت ٠٠ فظلّ على الدهر عُرْسٌ وعيد
ورقصُ السّماحِ على لحنْ « زرياب » وَقْعُ الخُطا فوْقُ كلّ صعيد
تضيعُ على غَفْلةِ العيْن يوماً ٠٠ كنوزُكَ يا خارِجاً للوصيد
وفي مُقلةِ العيْن لاحَتْ على دمعةٍ بنتُ « الاسْكندرونْ »
وتاهَ الزّحامُ بمَنْ تاهَ فيه فضَلّتْ عقولٌ وغامَتْ عيونْ
أيُسْجَنُ كلّ العذابِ بنفسي ٠٠ ؟ ولاتعلمون ؟!
وكلّ سلاحِ العصورِ تناهى إلى بضْعِ قَطْراتِ ماءِ الشّؤونْ
متى ينتهي في سمائي الضّباب ؟
متى يتركُ البومُ أرضَ الخراب ؟
متى يا أُمَيْمَ الزّمانِ تعون ؟
حفظتُ

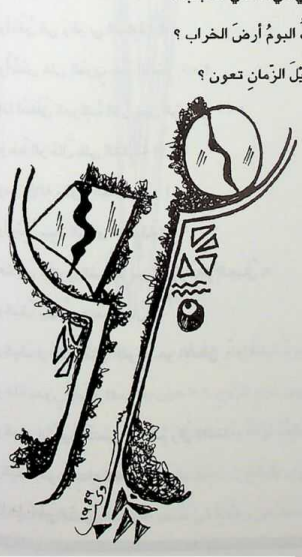

Digitized by Birzeit University Library

نسيتُ الرسالاتِ بابَ الخليفةِ بعْد تَحَوّلِ تِلْكَ الدّمُوْ
وعَدْلُ الأُلى ينسجون الوعودَ عقوداً من الحِبْرِ فوق السّطور
تحوّلتُ ٠٠ أسألُ بين الجباهِ العَليّةِ عن قِشْرِ موْزٍ وَسور
ففرّت يمامَةُ تشرين نحو المنافي
وحطّتْ على غصْنِ زيتونِ روما
أيا أكْذَبَ الأ نبياءِ تمهّلْ ٠٠ فمِسْكُ ختامِكَ طَعْمُ الفجُور !
ستسألني طفلتي بعد حين !!
أبي : كيف كان لقاءُ الوَداع
وهل كنْتَ تغفو مع النّائمين ؟
إذا كنْتَ أنتَ الملومَ أبي !! ٠٠
أتغضبُ إن كنتُ في اللائمين ؟
وكيف أُوَزّعُ يومي الحزين ؟!
أبي كيفَ تغربُ شمسٌ أضاءَتْ طويلاً سماءَ القرون ؟
وكيفَ تُهشّمُ كلّ المرايا ؟
وكيف أصيرُ على وَمْضَةِ العَصْرِ بين السّبايا ؟
وكيف تهونُ العذارى الصّبَايا ؟
ولمْ تتمزّقْ على سُمْرَةٍ في الجبين الحنايا ؟!
ألَمْ تَرَوِ لي ٠٠ كيف كان الزّمَان ؟
ألم نسْهرِ الليّل نحكي عن السّندباد ؟
وإبحارهِ في المتاهاتِ من ألفِ ليلَةْ ؟
وكيف أصْطليْنا بدفءِ كوانينِنا في الشّتاء !
تُساهِرني ٠٠ ثمّ تطبَعُ فوق جبينيَ خمسين قُبلَةْ
إذا ما أكلتُ لكَ " الكستناء " ؟

أأخْسَرُ في لحظةِ العطف مَهْدَ الأمان ؟!
فعُذراً مَعَ الليْلِ يا أمّ آدامْ !
سأبْحِرُ في رِحْلةٍ للهزيمةِ من شَطّ دجلةَ حتى الجزائِرْ
لأشْهَدَ طارِقَ يومَ الظّفَرْ ٠٠ !
لأبكي طويلاً ٠٠ إذا ما شَهِدْتُ مبيعَ الحرائرْ
لأمْسَحَ عن وجْنتيّ الدّرَرْ !
وأمْسَحَ عينيّ في نرْجِسِ الأنْدَلُسْ
أُعَطّرُ أنفي قبيلَ الرحيلِ ببعْضِ قرَنْفُلِهِ حائِرَةْ
فسوف يكون المسيرُ طويلاً ٠٠ !
ولن التقي بالهواءِ عليلا
سينقلبُ الزّوْرَقُ الهالِكُ السّوسِ قبْلَ السّحَرْ !
سيقذفني الموجُ في زَبَدِ الموجِ في بعض شطآنِهِ النائيةْ
إذا ضلّ بحّارَةٌ في العصور المُطلّةِ ٠٠
واصطدموا بي وقالوا : انتَحَرْ
فلم يخطئوا القوْل ٠٠ إنّي كذاك ٠٠
شربتُ السّمومَ وقلتُ : القَدَرْ
وتلبسُ أفعى السّهوبِ الدّثار
وفي جَمرةِ القيظِ تخلعُ عَنها حراشِفَها والسّتار
بِنابَيْنِ تهتكُ ما قدْ يرقّ بجلدِ القدم
إذا ما تململَ بعد الوقوفِ الطويلِ وسار
إذا ما تضاغط دمّ الشرايين في سطح جِلدي
وفوقَ وُرَيْقاتِ وَرْدٍ شفاهِيَ بالإحمرار
إذا أمّ آدَمَ أدْنَتْ ضفيرتَها للجِدار

Digitized by Birzeit University Library

إذا حاولَتْ للتنفّسِ ٠٠ ثقْبَ الحِصار
غرامتُها باهظة
ضريبتُها ٠٠ دَفْعُ عِفّتِها والسّوار
وكُحْلَ العيونِ وحتىّ الشّفار
فأيّ خَيارٍ أرى للخَيار ؟
تَعمّقْتِ في النّوم يا أمّ آدمْ
سلامي إليك سلامُ المسافرْ
أرى اليَوْمَ في رحلتي الحظّ عاثِرْ
فهل أنتِ زوجةُ لوطٍ النبيّ ٠٠
تَلفّتِ للخَلْفِ والرّكْبُ سائر ؟
فَفَارَقْتِني بعد طول المقام ؟
وأسْلَمْتني بعد يأسِ الكِرام !
وحارَبْتِني رغم حَرْب السّلام ؟!
وهل مَنْ يُعيدُ انْدِفاقاتِ نبضِ الحياةِ ٠٠
غداً في رميم العظام ؟!
ظنونٌ ظنون ٠٠ فهل تسمعين ؟
لماذا تَنافَى بيَ الموْجُ عند الخليج ؟
لماذا يُحَدّدُ سَمّ الخِياطِ مَمَرّاً لجسمي ٠٠ وبِدْءِ الحجيج ؟
لكي أفقِدَ الحِسّ عند المرور ؟!
لكي يتنافَى لَدَيّ الشّعور ؟!
لقد صِرْتُ من حَرّ بردي المُصَدّرَ للجائعين ٠٠
يهيجُ الخَصِيّ ولستِ أهيج ؟!
سلامٌ على جَدّتي في الدّريسْ

فقد عَلّمَتْني كبيرَ الكلامْ
وصَوْنَ النّظامِ وحُبّ السلامْ
سلامَ التّواشيحِ ليْلَ الخميسْ
فيا أمّ آدمْ :
إ ذا ما سَكِرْتِ على صَخْرةِالقدسِ يوماً بِشُرْبِ " العَسِيسْ "
فقولي لِرَبّكِ عند اللقاءِ ٠٠ على الحجرِ الأسْوَدِ المصطفى :
بأنّكِ بلْقيسُ هذا الزّمان
وأنّ بني " هاجَرَ " الأثْرياءَ غَدَوْا في الأمانْ
حنانيْكَ يا حارِمي من حَنانْ !
وداعاً لِوَرْدِكِ يا أمّ آدم !
وداعاً لشمسِكِ ٠٠ يا أُمّ آدم !
فكُلّيْ جنون ! ٠

علي الخليلي في :

سبحانك سبحاني ٠٠ من طينك طوفاني

صدر مؤخرا ، عن اتحاد الكتاب الفلسطينية / القدس ، ديوان شعر يحمل عنوان سبحانك سبحاني ٠٠من طينك طوفاني للشاعر علي الخليلي ، يقع الديوان في ١٤٣ صفحة من القطع المتوسط ، ويضم الديوان سبعة عشر قصيدة وقد اهدى الشاعر علي الخليلي هذا الديوان لوديه سري وميثم .

هذا وقد كتبت هذه المجموعة خلال السنوات من ١٩٨٧ الى ١٩٩٠

والجدير بالذكر ان لوحة الغلاف للفنان سليمان منصور .

Digitized by Birzeit University Library

الاختلاف .. في صيغته الانسانية

وسيم الكردي

انّ المحك الفعلي لاختبار الوحدة الوطنية وجودها الحقيقي ، لا يتأتى في لحظات الاتفاق الوطني ، والانسجام الرؤيوي ، والالتفاف حول قضية ما ، فحسب ، انما يتجلى الاختبار الفعلي لها حين يكون الاختلاف واضحا ، والتباين جليا ، والاصطراع ممكنا في صيغه الانسانية التي تحفظ للانسان انسانيته ، وتبيح للآخر ما تبيحه لذاتها .. هنا تستكشف صلابة الوحدة او هشاشتها .

انّ السمو الانساني ينجلي حين تقوم لغة الحوار على ما هو انساني ، وحشد ما هو حضاري لاثرائها .

ولن يكون الحوار ذا قيمة فعلية حين تتطابق الرؤى وتتلاقى تلاقيا مطلقا ، فما جدوى الحوار بين طرفين متوافقين ؟!!

ان الحوار قادر على اكتساب قيمته وسموه حين يتبدى الاختلاف في المنطلقات ، في التصورات ، في الرؤى ، في الآليات ، في الأهداف .. ان اجتمعت او انفردت .

كما ان مستويات التخالف والتعارض تختلف دائما وتتعدد ، على المستويين الجمعي والفردي ، فتنخفض حينا ، وتتأزم الى درجة عالية في احيان اخرى ، وهذا امر طبيعي كطبيعة الانسان والمجتمع .

ولذا فان الدعوة اللفظية لتجسيد الوحدة الوطنية قد تبقى لغوا في الهواء ، ان لم تستند الممارسة الفعلية لسلوك قابل للتحاور والتجاور في كل حقول حياتنا الانسانية ، تربية وتعليما . وعلينا ان ندرك ادراكا عميقا ان انبناء الاراء والمواقف والتصورات يقوم على اساسات تاريخية وثقافية واجتماعية .. تطول الفرد على مستوى الذات ، وتطول الجماعة على مستوى الكل ، وحين تتمظهر هذه التمايزات تكون نتاجا طبيعيا لاختلافات التكون ، والانبناء على مستوى التاريخ ، والممارسة على مستوى الواقع . التي تتحول الى تقاليد موضوعية تصوغ علاقاتها ، وتحدد اتجاهاتها ، وطرائق تفاعلها ، وفق قاعدة حق الفرد والمجموعة في التعبير عن ذاتها بحرية كاملة ، وفي سياق الاقتناع بأن الذات قد لا تمتلك الحقيقة على اطلاقيتها .

وما هو قائم في مجتمعنا لا يقع في اطار التصور الامثل للعلائق الانسانية في تجلياتها الحضارية ، انما يبدو صعبا وشائكا ، ويحتاج الى صياغة جديدة لمشروعنا الثقافي الفلسطيني . اقول "الثقافي" قاصدا المصطلح بدلته وشموليته ، والذي يأخذ فيه السلوك موقعا أصليا فيه .

فخلخلة البنيان الثقافي السائد ، هو شرط أساسي لاكتشاف ثغراته ونواقصه ، وهنا يتخذ الحوار مساره الحقيقي في اعادة بنائه وفق عقلية متفتحة ، وذهنية تستجيب للتطور الحضاري والانساني ، قادرة على صياغة مستقبلها بدلا من ان تصوغ سكين نحرها .

لان الابقاء على ذهنية الرؤية الاحادية ، وعقلية رؤية الحياة من خلال مرآة الذات ، وكأنها هي وحدها القادرة على انجاب الصائب ، وغيرها ليس قادرا سوى على انجاب الخاطىء ، يسهم في استمرارية عقلية تتحكم في تكويننا الثقافي ، وذهنية تسيطر على عقليتنا ، وتكرّس حالة تفضي دائما الى الاصطدام القاسي في كل صغيرة وكبيرة . لانها ترغب دائما باحتلال المكان دون ان تفسح مجالا للاخر في ان يأخذ موقعا له فيه . ولذا فهي ذهنية لا تقبل التعايش مع الآخريات ، ولا تستوعب امكانية التجاور معها .

فالتعايش والتجاور والاحتكاك يسهم في تطوير الصيغة الانسانية الكافلة للتعبير الحر للجميع ، ويساعد على توليد الحجج ، وكذلك التفاعل القادر على اختبار مقومات الحجة ووجودها واستمرارها وامكانات صحتها .

وبطبيعة الحال لا يحق لأحد ان يدعي ان صوابيته لا صوابية قبلها ولا بعدها ، ويجدر تبنيها ، والالتزام بها ، وتنفيذها تحت سوط التهديد ، والترهيب ، وشن الاتهامات ، وتقرير مصائر الافراد او الجماعات على اعتبار انه الحريص والعميدلي وعلى الناس اتباعه لان الباطل لا يأتيه لا من تحت ولا من فوق ، فيكيل التهم التي قد تصل الى التخوين الذي يفضي الى التجريم . حتى كاد التخوين يصير امرا سهل التقرير . تلوكه الألسن دون ان يقوم الضمير الجمعي بوضعه في آلية تضمن دقته بناء على حيثيات دامغة تلتقي حولها الجماعة ، وتقرره عدالة تحظى بالقبول الجماعي وبالارث التاريخي الانساني ، وبالنزاهة في حالاتها القصوى .

فالخيانة وفي مستوياتها كافة " ليست وجهة نظر " هذا أمر بدهي من الناحية النظرية ، غير أن استخدام هذه المقولة كسلاح يظهر كقفاز في وجه الرأي الآخر في كل حالة ، وفي كل موقف ، وامام كل رأي او سلوك ، يحوله الى تقليد يكسر الحوار ، ويهشم العلائق الانسانية ، اذا ما تحول الى مقولة يومية يتم اللجوء اليها في كل اختلاف وتباين ....

وسيفضي في نهاية الأمر الى نتيجة مأساوية تتمثل في استهال القاء حكم التجريم على شخص ، او فئة ، او جماعة ، وسيقود الى كارثة ، حيث يصبح آلية ممكنة الحدوث في الخلاف البسيط ، وكذلك في الخلاف المعقد ، لأنه سيتحول هنا الى ثقافة شعبية تأخذ بناصيته ، فيمارس عند التباين فيما يخص التفاصيل الجزئية ، وكذلك في التباين فيما يخص الجوهريات الكلية . ويتحول الى عادة تلفّ حياتنا في كل لحظاتها ، مهيئة لانفجار كبير لم يستطع " الآخرون " تنفيذه فنفذناه ، لم يستطيعوا تحقيقه عبر عقود طويلة فحققناه بأيدينا ، لقد أن لنا ان ندرك - قبل فوات الأوان - جميعا ان الانسان هو الاشراقة الوحيدة في حياتنا التي تنعقد حولها ظلمات لا يبددها سوى اجتماعنا في لحمة ابدية ، وتماسك يكفل ثباتنا على هذه الارض كما ثبتنا في التاريخ الذي يعود الى آلاف السنوات .

لنختلف .. والى اقصى درجات الاختلاف ... ولكن ضمن الصيغة الانسانية التي بنت تاريخنا وحضارتنا منذ أهدينا العالم - الابجدية - الى ما شاء الله من المستقبل .

Digitized by Birzeit University Library

فهرس الكاتب (السنة الثانية عشرة)

سياسة

اسم صاحب المقال	عنوان المقال	العدد	الصفحة
ابو رمضان محسن	الامم المتحدة والعالم الجديد	١٣٢	٢٥
ابو غوش أحمد	لماذا التوجه القومي هو خيارنا؟	١٣٣	٢٤
اسعد (ال)اسعد	عالم برسم التغيير	١٢٩	٢
اسعد (ال)اسعد	حرب ما بعد الحروب	١٣٠	٤
اسعد (ال)اسعد	قراءة ديمقراطية في واقع الحال	١٣١	٢
اسعد (ال)اسعد	الاعتراف بالحق الفلسطيني ٠٠٠ولا	١٣٢	٣
اسعد (ال)اسعد	قواعد اللعبة تستدعي البحث عن اوراقها	١٣٣	٣
اسعد (ال)اسعد	مكمن الخطر	١٣٤	٢
اسعد (ال)اسعد	اختلال المعادلة يؤدي الى اختلال في النتائج	١٣٥	٣
اسعد (ال)اسعد	كي لا تقوم لهم قائمة	١٣٦	٣
اسعد (ال)اسعد	المجلس الوطني والخيار الصعب	١٣٧	٢
اسعد (ال)اسعد	مؤتمر مدريد بين التمنيات والواقع	١٣٨	٢
اسعد د. محمد	صدام حسين - ام المعارك - النتائج والاسباب	١٢١	١٨
اسماعيل محمود	وجهة نظر حول ازمة الخليج	١٢٩	١٣
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والثلاثين للانتفاضة	١٢٩	٣٥
الكاتب	وثيقة " النص الحرفي لقرار مجلس الامن رقم ٦٨١ حول الوضع في الاراضي المحتلة	١٢٩	٦٣
الكاتب	من اجل حوار فكري سياسي ديمقراطي	١٢٩	٦٤
الكاتب	جريمة العصر	١٣٠	٢
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين للانتفاضة	١٣٠	٣٨
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الاربعين للانتفاضة	١٣١	٢٣
الكاتب	حتى لا نفرق ثانية	١٣٢	٢
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الحادي والاربعين	١٣٢	٢٨
الكاتب	ما زالت بعض الاوراق باديدينا	١٣٣	٢
الكاتب	رسالة المعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الاسرائيلي	١٣٣	١٤
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الثاني والاربعين للانتفاضة	١٣٣	١٧
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الثالث والاربعين للانتفاضة	١٣٤	٢٢
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الرابع والاربعين للانتفاضة	١٣٥	١٧
الكاتب	المجلس الوطني والمسؤولية التاريخية للانتفاضة	١٣٦	
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر الخامس والاربعين للانتفاضة	١٣٦	٢٨
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر السادس والاربعين للانتفاضة	١٣٧	١٤
الكاتب	قائمة باسماء شهداء الشهر السابع والاربعين للانتفاضة	١٣٨	٢٥
حبيبي اميل	وداعا ايتها الحرب	١٣٢	١٢
خطيب (ال)غسان	حساب الربح والخسارة الفلسطيني من حرب الخليج وافاق العمل لما بعد الحرب	١٣١	٥
سلام منير	خطر الاستيطان ومقايضة الارض بالسلام	١٣٢	١٨

Digitized by Birzeit University Library

سوفيتسكايا روسيا	سجل اسود للاعتداءات العسكرية الامريكية ضد استقلال الشعوب ١٨٨٠ عدوانا امريكيا نفذ ضد دول العالم الثالث منذ ١٩٤٥ وحتى حرب الخليج	١٣٠	٣٦
صافي صافي	ايه ديمقراطية تقصدون ؟	١٣٧	١٥
طويل (ال)عدنان	محاولة للمشاركة في فهم طبيعة الاصلاح الديمقراطي في ٥٠م٠ن٠ف	١٣٧	٥
عباس حسين	تساؤلات موجهة الى كل من يهمه الامر	١٣١	٣١
عبد الرحمن د٠اسعد	صورة ادارة بوش في مرآة الشارع العربي	١٢٩	١١
عبد الرحمن د٠اسعد	سمات "الايديولوجية الجديدة" المعادية للولايات المتحدة	١٣٠	١٠
عبد الرحمن د٠اسعد	لمصلحة من تحويل الاصدقاء والمحايدين الى اعداء ؟	١٣١	١٢
عبدالرحمن د٠اسعد	اكاذيب وحقائق تشهدها الكويت ٠٠٠ويا أخي هل جاوز الظالمون المدى ؟!	١٢٤	٤
عبد الرحمن د٠اسعد	المعارضة الكويتية بين الديكتاتورية والديمقراطية	١٣٥	٨
عبد الرحمن د٠اسعد	التحرك الامريكي الراهن ٠٠٠لماذا ؟!	١٢٧	٩
عبد الشافي صلاح	ازمة الخليج ٠٠٠دروس وعبر	١٣٢	٢١
كاشف (ال) عدنان	بنتاغون اخر في مجال الاعلام	١٣٠	٨
كاشف (ال) عدنان	السلام الامريكي المرفوض	١٣١	٨
كاشف (ال) عدنان	بعد الحرب في الخليج - القضية الفلسطينية الى اين	١٣٢	٥
كاشف (ال) عدنان	حتى يظل الرقم الصعب صعبا !	١٣٥	٥
كاشف (ال) عدنان	"ديمقراطية" جابر وغورباتشوف ودافعنا للتغيير	١٣٦	٥
كردي (ال) وسيم	يستوردون حياتنا ليصدروها لنا موتا	١٣٠	٤٠
محمد جبريل	المطلوب اطار قومي تقدمي للتفكير والممارسة	١٣٢	٢٩
ـــــ	كيف اتخذ قرار العدوان على العراق ؟	١٣٠	١٦
ـــــ	العرب والنظام الدولي الجديد	١٣٠	١٩
ـــــ	على هامش حرب الخليج	١٣٠	٢٠
ـــــ	مفكرة ازمة الخليج ومراحل التصعيد(ايار ١٩٩٠-١٧ كانون ثاني ١٩٩١)	١٣٠	٢٤
يونس عصام	الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستغلال في حرب الخليج	١٣٨	١١

اقتصاد

رافة عادل"ترجمة"	ابن خلدون - حول السياسة الاقتصادية	٢٩	٢٥
عبد الشافي صلاح	اقتصاديات السوق ، عودة الى الرأسماليةام فهم جديد؟	١٣٣	٦
عكاشة أحمد خالد	قراءات في تاريخ فلسطين الاقتصادي (١)	١٣٥	١٨
ـــــ	ـــــ (٢)	١٣٦	٧
فايس د٠ ديتار	ابن خلدون - حول السياسة الاقتصادية	١٢٩	٢٥

تاريخ فلسفة ، تحرر وطني ، حقوق انسان وقانون

ابو رمضان محسن	ويبقى المنهج الجدلي هو الأصح	١٣٨	١١
ابو عرفه د٠وائل	خطوات الى الخلف في نهاية القرن العشرين	١٣٤	٣٨
الكاتب	وثيقة - النص الحرفي لقرار مجلس الامن رقم ٦٨١ حول الوضع في الاراضي المحتلة	١٢٩	٦٣

Digitized by Birzeit University Library

بطراوي (ال)خالد	ميكانيزم تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة	١٢٩	٤
- - - -	اتفاقية جنيف ومؤتمر مدريد	١٣٨	٥
داود محمد	المشروع القومي العربي وتحرر الوطن العربي ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا	١٣٤	١٨
سيفي (ال) يسري	مناقشة لبعض الافكار التي وردت في الحوار مع المفكر كورنيليوس كاستورياديس	١٣٧	٢١
سيفي (ال) يسري	ازمة الفكر بين التقليد والتجديد	١٣٨	١٦
صافي صافي	اية ديمقراطية تقصدون ؟	١٣٧	١٥
صالح هاشم	كورنيليوس كاستورياديس ، المجتمع ـ الديمقراطية الدين ،الدلالات الخيالية..الخ	١٣٦	٢٠
عبدالرحمن د.اسعد	المعارضة الكويتية بين الديكتاتورية والديمقراطية	١٣٥	٨
علوي (ال) هادي	مصداقية حقوق الانسان في الغرب ومدى فعالية الرأي العام الغربي	١٣٦	٣١
محمد جبريل	عرض لكتاب برهان الدين دلو " مساهمة في اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي "	١٣٥	٢٦
هالم هانز	صانعو الفزع / كيف يتحول الاسلام في الغرب الى صورة عدائية جديدة	١٣٨	١٩

علوم ، صحة عامة وزراعة

تميمي(ال)عبدالرحمن	المياه في قطاع غزة	١٣٤	٩
خلس اياد	المياه في قطاع غزة	١٣٤	٩
نادي فراج	اضواء على مشروع التثقيف الزراعي في مركز علوم صحة البيئة / جامعة بير زيت	١٣٧	٢٨
لجنة الاغاثة	القطاع الزراعي في المناطق المحتلة ،صعوبات ومعوقات	١٢٩	١٦
مصطفى احسان	الصراع العربي الاجنبي على مياه الانهار	١٢٩	١٩
مصطفى احسان	الصراع العربي-التركي على مياه نهر الفرات	١٣١	٢٤
مصطفى احسان	الصراع العربي-الافريقي على مياه نهر النيل	١٣٤	١٤
الكاتب	حمله عام ١٩٩١ من اجل النساء (١)	١٣٣	١٠
	- - - - - - - (٢)	١٣٤	٨
	- - - - - - - - (٣)	١٣٥	١٥
ـــــ	الانتفاضة وبعض قضايا المرأة الاجتماعية	١٢٩	٣١

مجتمع

عبدالرحمن د.اسعد	لمصلحة من تحويل الاصدقاء والمحايدين الى اعداء	١٣١	١٢
كردي(ال) وسيم	الحرية اشتراط الابداع	١٣١	٥٦
كردي (ال)وسيم	خطاب الى المعلمين والمعلمات	١٣٦	٦٤
- - - -	الاختلاف في صيغته الانسانية	١٣٨	٥٧
ـــــ	حضارة الغرب ، تهدد بمحو مهد الحضارات الانسانية	١٣٠	٣٤

ثقافة

ابو عرفة د.وائل	الثقافة المصرية والتراث	١٣٦	٢٩
الكاتب	لماذا تغيب الثقافة من برامج الدعم؟	١٣٥	٢

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب			
خطيب(ال)محمود	اراء للمناقشة من الحياة..والادب والثقافة	١٣٥	٣٤
سيفي (ال)يسري	مناقشة لبعض الافكار التي وردت في الحوار مع الملكر	١٣٧	٣٦
صالح هاشم	كورنيليوس كاستورياديس		
	كورنيليوس كاستورياديس ، المجتمع ،الدين ، الديمقراطية ، الدلالات الخيالية ..الخ	١٣٦	٣٠
كردي(ال)وسيم	الثقافة والخروج على السائد	١٣٢	٥٦
كردي (ال)وسيم	نحو قارىء مغاير	١٣٤	٦٤

فنون ، مسرح ، سينما ، وتلفزيون

ابراهيم جورج	مهرجان موتريل لحوض البحر الابيض المتوسط /اسبانيا ، ذكريات وانطباعات	١٣١	٤٥
ابو الحكم شمران	بداية موسم جديد للفن التشكيلي	١٣٣	٤٧
ابو غزالة الهام	وهم ديمقراطي في اخراج مسرحية" قضية المدعو س "	١٣٨	٣٥
اسدي(ال) جواد	المسرح الفلسطيني وحداثة التكوّن	١٣١	٤٤
اسماعيل يعقوب	بين السيناريو والمونتاج ضاع الممثلون الفلسطينيون وضاعت قضيتهم	١٣٥	٤٨
باشا (ال)كامل	مهرجان القدس الاول للمسرح الفلسطيني " بعض الجوانب الفنية "	١٣٤	٤٦
باشا(ال) كامل	المسرح في قطاع غزة	١٣٧	٤٥
جريري(ال)علي	(موتى بلا قبور) بين سارتر ومعين بسيسو في عرض مسرحي متميز	١٢٩	٤٧
جريري(ال) علي	تشكيل فن الكاريكاتورة ومشروع الحرب والسلام	١٣٣	٣٢
جريري(ال) علي	حوار مع احد مؤسسي جماعة ناجي العلي للفنون التشكيلية " الفنان كريم دباح "	١٣٤	٤٠
داود محمد	المسرح المحلي وضرورة الكتابة المسرحية	١٣٦	٤٤
رمحي (ال)سفيان	السينما الفلسطينية - ابواب مقفلة وطاقات مهملة	١٣٦	٥١
رنتيسي سمير	" الرجال لهم رؤوس " متشكوك عربي يزور القدس بملامح غريبة	١٢٩	٤٩
رنتيسي سمير	"مجلس العدل" كوميديا ساخرة تدم عن مواهب ابداعية مثيرة	١٢٩	٥١
زعمط بسام	وداعا وصلوا حتى نلتقي	١٣٦	٤٧
سلطان بندر	السينما الجيدة تخلق جمهورا جيدا	١٣١	٤٨
شحت انطون	المسرح في اسرائيل	١٣٣	٤٧
صافي صافي	الخروج الى داخل الدائرة في قضية المدعو"س"	١٣٣	٥٠
غول(ال)خالد	اسوار القدس تحتضن المهرجان المسرحي الاول	١٢٩	٤٤
قدسي(ال) هادي	فرق الفن الشعبي والوعي بالتراث الشعبي	١٢٩	٤٢
محب(ال)فاطمة	الحضارات الفنية عبر العصور - فن القدماء قبل الميلاد (١)	١٣٤	٤٣
محب (ال)فاطمة	الحضارات الفنية عبر العصور-الفن المسيحي وانتشاره (٢)	١٣٥	٤٤
محب (ال)فاطمة	الحضارات الفنية عبر العصور - الفن الاسلامي وخصائصه (٣)	١٣٦	٤٠
محب (ال)فاطمة	الحضارات الفنية عبر العصور - فن الشرق الاوسط والاقصى (٤)	١٣٧	٣٩

Digitized by Birzeit University Library

- - - -	الحضارات الفنية عبر العصور - فن التصوير ومذاهبه	١٣٨ ٢٩
مدانات عدنان	السينما الفلسطينية (١)	١٣٧ ٤٧
- - -	" - - - (٢)	١٣٨ ٣٨
مزين(ال)ابراهيم	"نبيل عناني" وضاءات التشكيل	١٣٣ ٤٢
مزين (ال)ابراهيم	سليمان منصور وصيغ التشكيل	١٣٦ ٣٦
منصور قاسم	الفنانون الفلسطينيون والتكاثر الانشطاري	١٣٨ ٣٦
موريس ماجدة	ليالي الحلمية ، اغنية للوطن واغنية للسجن واغنية للجراح	١٢٩ ٥٢
موريس ماجدة	فاتن " وضمير ابلة حكمت " امرأة لكل العصور	١٣٣ ٥٣
موريس ماجدة	مسلسل الوسية وقصة التحدي المكتوب عَ الجبين	١٣٤ ٥٤
ـــــ	مصرح الورشة الفنية يقدم ميثودراما عبد الله الكبير	١٣٤ ٥٦

أدب

ابراهيم جورج	لوركا شاعر اسبانيا العظيم	١٣٢ ٣٩
ابراهيم جورج	دَرْيني ، يحملك الباقي	١٣٣ الغلاف الخارجي الايسر
ابو خشان د.عبد الكريم	مستويات الخطاب في قصيدة محمود درويش "مأساة النرجس وملهاة الفضة"	١٣٤ ٢٣
ابو شمسية د.	دراسة نقدية لمجموعة "وتستمر الحياة" ليعقوب الاطرش	١٣٥ ٣٧
ابو عرفة د.وائل	قراءة في قصيدة أمل دنقل	١٢٩ ٣٩
ابو عرفة د.وائل	جدلية الحياة والموت في قصيدة هنا اول البر	١٣٧ ٣٣
ابو غوش ماجد	ذكريات من سويتو !	١٣٤ الغلاف الخارجي الايسر
اسعد(ال) اسعد	اتحاد الكتاب والدور المطلوب	١٣٧ ٣٨
اطرش(ال)يعقوب	ملاحظات على مقالة السيد خالد بطراوي حول مجموعتي القصصية "وتستمر الحياة"	١٣٣ ٣٨
الكاتب	رحيل عميد الادب الفلسطيني د. اسحق الحسيني	١٢٩ ٤١
بحيص محمد محمود	نعم لاقامة مؤسسة متخصصة تعنى بادب الاطفال في الارض المحتلة	١٣٣ ١٨
بطراوي (ال)خالد	قراءة مع الاستاذ يعقوب الاطرش في مجموعته القصصية "وتستمر الحياة" (١)	١٣١ ٣٧
بطراوي (ال)خالد	قراءة مع الاستاذ يعقوب الاطرش في مجموعته القصصية "وتستمر الحياة" (٢)	١٣٢ ٣٤
خطيب (ال)محمود	اراه للمناقشة من الحياة ..والأدب والثقافة	١٣٥ ٣٤
رنتيسي سمير	فلتسأدوا السيدة الحجور قصيرة القامة	١٣٦ الغلاف الخارجي الايسر
صافي صافي	ازمة المثقف في الجانب الآخر لارض الميعاد	١٢٩ ٣٦
طمس(ال) د.سبيرو	الحلم الحرام	١٣٥ الغلاف الخارجي الايسر
طه المتوكل	لا عليك - ايها الكبش العاري	١٣٧ الغلاف الخارجي الايسر
طه نضال	معذرة ودقيقة من فضلكم	١٣٧ ٣٦
علم(ال)د.ابراهيم	النفس الملحمي في رواية " انشودة فرح "	١٣٣ ٣٥
علم(ال)د.ابراهيم	خرافية سرايا بنت الغول سيرة ذاتية	١٣٤ ٢٨
كردي (ال) وسيم	حينما يستباح الشعر والشاعر	١٣٣ ٦٤
كردي(ال) وسيم	نحو قارىء مغاير	١٣٤ ٦٤
كردي (ال)وسيم	بعض هموم أدبية	١٣٧ ٦٤
منصور قاسم	حلم لحظة الطرح	١٣٢ الغلاف الخارجي الايسر

Digitized by Birzeit University Library

قصة

ابو عرفة د.وائل	القرار الأخير	١٣٢ ٥٣
اطرش(ال)يعقوب	شيء ...للتحدي	١٢٩ ٥٦
اطرش (ال)يعقوب	الخراف تأكل الاجاص	١٣٦ ٥٦
ايوب محمد(ترجمة)	عريس (الزوج)	١٣١ ٥٣
جوهر حليمة	رحلة عذاب	١٣٥ ٥٦
- - -	الثمن	١٣٨ ٤٥
سلوادي د.حسن	ليلي والطوفان	١٣٥ ٥٥
سيلانسكي مؤشيه	عريس (الزوج)	١٣١ ٥٣
صافي صافي	في هالفنجان	١٣٦ ٥٨
عبد العزيز تيسير	٣ قصص قصيرة جدا	١٣١ ٥١
عبد العزيز تيسير	بحر	١٣٣ ٥٩
عبد العزيز تيسير	٤ قصص قصيرة جدا	١٣٧ ٥٦
عبد الله حسن	عاشق الزيتون	١٣٧ ٥٨
عديلة احمد موسى	محاولات قيد التنفيذ	١٣٢ ٥٢
عسلاذي غريب	الكرسي	١٣١ ٥٢
- -	درس في الافعال	١٣٥ ٥٩
علم(ال)ابراهيم	بئر الغزال	١٣٧ ٥٥
عمير صفاء	حبة مطر	١٣٤ ٥٨
فوسكرجيان وليم	لا تخبروا مدينتي بما حدث ليلة امس	١٢٩ ٥٨
قباني حسين(ترجمة)	العاشق الجبان	١٣٤ ٦٠
قواسمي (ال)جمال	احلام	١٣٣ ٥٦
- - - -	الروح والقنينة	١٣٨ ٤٥
كيلاني(ال)سامي	الحاجة رشيدة	١٣٦ ٥٤
موباسان جي دي	العاشق الجبان	١٣٤ ٦٠

شعر

ابراهيم منير	قصيدتان	١٣٦ ٦٠
ابو غزالة د.الهام	التحرك تجاه البيت	١٣٦ ٦٢
(ترجمة)		١٣١ ٥٥
ابو غوش ماجد	مرقية عطا الله حمدان	١٣٥ ٦٢
ابو غوش ماجد	حمى وردة الشهداء	١٣٧ ٦٢
ابو غوش ماجد	يوميات مخيم الشاطىء	١٣٧ ٦٣
أل رضوان محمد	سيشيخ الزمن ... وغزة ستظل صبية	١٣٨ ٥٠
العزة عبد القادر	مرتين حب لأم آدم	١٣٣ ٦٠
الماغور دان	فجأة لم استطع رفع هامتي	١٣٤ ٦٢
بشارة عيسى	اصيخوا السمع واقتصلوا بمأركم	١٢٩ ٥٩
جبران الصغير	بسم الله - زنابق الفكر -	١٣٥ ٦٠
جزماوي جبر زيدان	احمد ..وقد طال الزمن	١٣٦ ٦٢
جوردان جون	التحرك تجاه البيت	١٣٦ ٥٩
حامد يوسف	اقعى على هيئة لن تدوم	١٣٦ ٦١
حركش سيدي	قلب انسحر	١٣١ ٥٤
دلة محمد	اذار	

Digitized by Birzeit University Library

شحادة يوسف	٣ رسائل	١٣٧ ٦٢
طقش عبد الحميد	هنا الجودي	١٣٢ ٥٥
عسقلاني مجيد	كتابات على حائط مهدوم	١٣٣ ٦٢
عوض خالد	تمخضت الصحراء فأنجبت مسخا	١٣٤ ٦٣
قطينة د.مالك	طوبى لذبحي	١٣٥ ٦٣
كيلاني(ال)سامي ترجمة	فجأة لم استطع رفع هامتي	١٣٣ ٦٠
ملاّح (ال) د.	على قبر دمشق	١٣٧ ٦٣
عبد العزيز		

عرض ومراجعة كتب

ابو خشان د.	مستويات الخطاب في قصية محمود درويش	١٣٤ ٢٣
عبد الكريم	"مأساة النرجس وملهاة الفضة"	
ادب ونقد	اصدارات جديدة / ابجدية الحجارة الشعرية	١٣١ ٤٢
جرادات عبد الله	الاسلمة والسياسة في الاراضي الفلسطينية المحتلة	١٣٤ ٣١
علم(ال)د.ابراهيم	"خرافية سرايا بنت الغول" سيرة ذاتية	١٣٤ ٢٨
محمد جبريل	عرض لكتاب برهان الدين ولو "مساهمة في اعادة كتابة التاريخ العربي الاسلامي"	١٣٥ ٢٦
منصور فايز	نجاتي صدقي حياته وادبه (١٩٠٥-١٩٧٩)	١٣١ ٣٣

ملاحظة

ظهر فهرس مجلة الكاتب منذ صدورها على النحو التالي :

فهرس السنوات الخمس الاولى تضمنه العدد ٥٧

فهرس السنة السادسة تضمنه العدد ٦٨

فهرس السنة السابعة تضمنه العدد ٨٠

فهرس السنة الثامنة تضمنه العدد ٩٢

فهرس السنة التاسعة تضمنه العدد ١٠٤

فهرس السنة العاشرة تضمنه العدد ١١٦

فهرس السنة الحادية عشرة تضمنه العدد ١٢٨

فهرس السنة الثانية عشرة تضمنه العدد الحالي ١٣٨

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

الفراشات الصغيرة

عيسى بشارة

قال وهو يداري وجهه مشيحاً نظره على الأرض : هل تدري، تمنّيت لو أنني فراشةٌ تطير بسرعةٍ مثل تلك الفراشات الجميلة التي لا تخشى شيئاً . في ذلك الوقت كنت أقف الى جانبه أمعن النظر في تلك الفراشات اليافعة ،وقد تملّكني الصمت والذهول .

كانت الفراشات آنذاك تتقافز هنا وهناك،تتجمّع تارةً وتتفرق تارة أخرى تفادياً للنيران التي راح يطلقها الجراد المسلّح بشكل عشوائي .

فجأةً ، وعلى غير توقع ، قفزت من حولي فراشة جميلة،كانت تبدو معفّرة بتراب الأرض،وما يزال أثر الطين عالقا ببعض أطرافها . أمسكت بتلك اليدين كأنني أحاول أن أخبئهما في ثنايا القلب المشتعل ووددت لو انني ضممتُ عليهما تقبيلاً وأمرغهما بدموع عيني ، لكن الفراشة سرعان ما أفلتت من يدي بحركة رشيقةٍ ثمّ ولّت هاربة ، وقد كان الجراد المسلّح يقترب شيئاً فشيئاً .

كان سربٌ من الجراد يتقدم تارةً بسرعة وتارة أخرى ببطء ، فكأنما يريد بذلك ان يحفظ مسافةً بينه وبين الفراشات الصغيرة او ربما كان يخطط للإنقضاض بسرعة على فراشة او فراشتين لعله يفرغ فيهما جام غضبة وشحنات حقده وشظايا تاره المميتة .

قال صديقي : ما بك ؟ . قلت وفي الصوت بحة : أشعر بتعب مفاجيء . ثمّ سرعان ما انحنيت على الارض والتقطت شيئا والقيت به في منتصف الطريق . فجأة احسست ان الدّم يجري في عروقي ، وشعرت ان بامكاني أن اجري مثل الفراشات الجميلة وربما اقفز او اطير بحرّية نادرة ودون ان يتهمني احدٌ بالجنون .

تملّكتني النشوة السحرية ، وأدركت لماذا تصرّ الفراشات على المواجهة . أدركت انها قادرة على أن تستمد قوّتها من أصغر الاشياء . فهي تعرف بالفطرة ان الحيوانات الكبيرة وخاصة المهارة ، المهارة ، المزمجرة منها ليس بمقدورها ان تفعل شيئا لانها تقعي وتذعن امام كل ما يسيل لعابها . بل ليس هناك ما يمكن ان يسيّل دموعها ولا حتى قنابل الغاز المسيل للدموع .

هذه التجربة العظيمة التي تخوضها الفراشات الصغيرة . هي درسٌ للطيور الهرمة التي تصرّ على التحرّك في أرضٍ بلا أجنحة وتأبى ان تغادر مكانها حتى لو تحوّلت السماء الى مظلة من الطيور المعادية ، وحتى لو التهم الجراد المسلّح الأخضر واليابس،وهرس اللحم مع العظم،وفتك الحلم وحوّل الليل الى نهار والنهار الى ليل .

يا أيها الكبار تعلموا من صغاركم ، وكفّوا عن نصائحكم واحتكموا الى الفراشات التي اصبحت الشعلة اليتيمة في الفقع العربي المظلم .

Digitized by Birzeit University Library